
كَلِمَةُ حَق
مجلة كلمة حق
السنة الثالثة
العدد ٢٦
سبتمبر ٢٠١٩
كشمير
الصين
باكستان
أبو يزن الشامي
وفريضة الاعتبار الغائبة (٢)
كرم الحفيان
مصير المعتقلين بين
اليائسين والحالمين
د.عطية عدلان
الفراعنة الصغار
د.مجدي شلش
مذكرات رفاعي طه (١٨)
محمد إلهامي
ذكرى حريق الأقصى ..
الأحداث والواجبات
د. وصفي عاشور أبوزيد
وغيرها
من
المقالات





دورية ثقافية معرفية
نخبة من الكتاب والمفكرين

محتويات العدد ٢٦ سبتمبر ٢٠١٩

الافتتاحية..

في اصطناع الرجال

محمد إلهامي

هذه الافتتاحية ثلاثة أجزاء؛ الأول: قصة من قلب التاريخ عن شخصية لفتت النظر رغم قلة الأخبار المتوفرة عنها، لكن ذكرني بها أمور سأسردها في الجزء الثاني، وفي الجزء الثالث تعقيب على بعض ما ورد للمجلة من رسائل وتعليقات نحسب أنها مهمة.

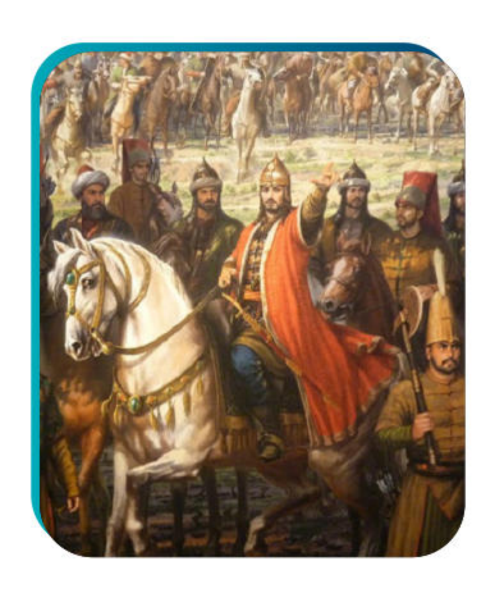


(١)

قبل نحو سبع سنين، وبينما أعدّ كتابي "رحلة الخلافة العباسية" (٣ مجلدات) سجلت على هامش الأوراق العديد من الأسماء التي تغري بمزيد من البحث عنها، فمن تلك الأسماء جعفر بن حنظلة البهراني، وهذا رجلُ سياسة وحرب، واجتماع السياسة والحرب في الرجال قليل، إلا أنه كان في صدر دولة بني العباس فلم يتوهج نجمه بين أهل الثورة الناجحة وأهل الدولة في شروق شمسها، وكيف برجل عاش في زمن أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور وأبي مسلم الخراساني وأبي سلمة الخلال وقحطبة بن شبيب الطائي؟! فأولئك كانوا وسيظلون من عظماء الساسة والخلفاء عبر كل التاريخ الإنساني، وإن نقدنا عليهم أمورا وكرهنا منهم أخرى.

وفي شذرات الأخبار القليلة التي جاء فيها اسم جعفر بن حنظلة البهراني نرى رجلا حكيما وافر العقل سديد الرأي، بل هو من الكفاءات السياسية التي عملت مع الأمويين ثم مع العباسيين، فهو إذن من عينة أولئك الرجال الأكفاء الذين لا تستغني عنهم السلطة وإن وجدتهم في أروقة قصور أعدائها الذين خلعتهم بعد ثورة كبيرة ساحقة. فإذا لم نكن نعرف عنه غير هذا لكان يكفينا أن نبصر فيها كفاءته النادرة!

أول ما نعرفه من أخبار جعفر أنه كان من قيادات الجيوش التي فتحت وسط آسيا ومناطق الشعوب التركية، في زمن الأمويين، إذ ينقل الطبري قيادته لكتيبة حمص في جيش أسد القسري (والي خراسان) ثم قيادته لكتائب المتطوعين في ذات هذه الحرب في عام (١١٩هـ)، ثم تولى جعفرُ خراسان أربعة أشهر في فترة انتقالية بين وفاة واليها أسد القسري وإلى أن



واليها الجديد والأخير في دولة بني أمية نصر بن سيار (١٢٠هـ)، وقاد غزوة ضد الروم (١٣٩هـ)، وقاد غزوة أخرى (١٤٦هـ)، وهاتين في زمن العباسيين. ولكن جاء وصف شارد عند الطبري بأن جعفرًا هذا هو "أعلم الناس بالحرب، وأنه شهد مع مروان حروبه"، وأغلب الظن أن مروان المقصود هنا هو مروان بن محمد، وحروبه هذه إنما يقصد بها حروبه في أرمينية حيث كان مروان واليا قبل أن يلي الخلافة. ولو ثبت هذا فإن جعفرا كان متمرسا بالحروب وكان بين جبهتي الترك والأرمن في خراسان وما وراء النهر وفي جبال أرمينية!



وتفيد مجمل أخباره مع المنصور أنه كان من المقربين إليه في الأمور الخطيرة، فحين قتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني كان صاحبنا جعفر بن حنظلة البهراني من أول من علموا بالخبر ودخلوا عليه بعد قتله، فقال للمنصور: "عدّ خلافتك مذ اليوم"، وكان الأمر كما قال، إذ لم يستتب أمر المنصور ولا استقرت الدولة لبني العباس إلا بعد ذهاب أبي مسلم الذي كان أخطر مركز نفوذ يستطيع أن يتحدى الخليفة نفسه، ولو لم يستطع المنصور الخلاص من أبي مسلم لضرب الانقسام الدولة الإسلامية والخلافة العباسية منذ أيامها الأولى.

وقد اشتعلت ضد المنصور ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) وأخيه إبراهيم، وهي واحدة من الثورات العلوية ضد العباسيين، وكان التخطيط أن تعلن الثورة في المدينة على يد محمد، وفي البصرة على يد إبراهيم في نفس الليلة فيقع الارتباك والتشتت لدى المنصور، إلا أن خلافا في التقدير جعل محمدا يثور قبل الموعد المتفق عليه، وجاءت ثورته في ليلة كان إبراهيم فيها مريضا بالبصرة، فأعلنت الثورة من المدينة وحدها، وكان هذا من جملة أسباب إخفاقها. لكن الذي يهمنا هنا هو أن صاحبنا جعفر بن حنظلة البهراني تظهر له ثلاثة أخبار في هذه الثورة:

أولها أنه بمجرد ظهور محمد في المدينة نصح المنصور أن يوجه الجيش إلى البصرة ويهتم بها الاهتمام الأكبر، لكن أبا جعفر أعرض عن هذا الرأي، فلما فوجئ بثورة إبراهيم تشتعل في البصرة وتتمدد تمددا خطيرا يكاد أن يصل إلى الكوفة استدعى جعفر بن حنظلة البهراني وسأله كيف استطاع أن يتوقع هذا؟ فقال جعفر مقالته التي تدل على خبرته بالبلدان وطبائع أهلها ووزنها الجيوسياسي (بالمصطلح المعاصر)، **قال:** "لأن محمدا ظهر بالمدينة، وليسوا بأهل حرب، بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم، وأهل الكوفة تحت قدمك، وأهل الشام أعداء آل أبي طالب، فلم يبق إلا البصرة". وتذكر رواية أخرى أن المنصور سأله حين وصله خبر ثورة محمد **فقال له:** "يا جعفر، قد ظهر محمد، فما عندك؟ **قال:** وأين ظهر؟ قال: بالمدينة، قال: فاحمد الله، ظهر حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ولا كراع، ابعث مولى لك تثق به فليسر حتى ينزل بوادي القرى، فيمنعه ميرة الشام، فيموت مكانه جوعا، ففعل"، وكانت هذه هي أساس الخطة التي اتبعها المنصور في مواجهة ثورة محمد.

وثانيها: أنه خرج في قادة إخماد هذه الثورة، وهذا دليل كفاءة وثقة من المنصور فيه، فقد اجتمع له الحرب والرأي.

وثالثها: أنه لما عاد بخبر هزيمة إبراهيم بن الحسن وإخماد الثورة، كان الناس يدخلون على المنصور فيهنئونه بهذا النصر، ويأخذون في سب محمد وإبراهيم كما يفعل أعوان السلطان على عادتهم، فلما دخل جعفر على المنصور قال مقالته التي تنم عن شرف العربي ورفعة أخلاقه حتى في حال الخصومة، قال: "أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حقك"، فَسُرَّ بذلك أبو جعفر وقال: أبا خالد مرحباً وأهلاً ها هنا (أي أجلسه قريبا منه)، فعلم الناس أنه قد سرته مقالته فقالوا مثل قوله. وهذا درسُ في أخلاق السياسة حتى مع الحرب والخصومة نحتاج أن نتذكره في زمن صار الخلاف فيه مبيحا للطعن في الأعراض وانتهاك الحرمات والتفنن في الكذب والتحقير.

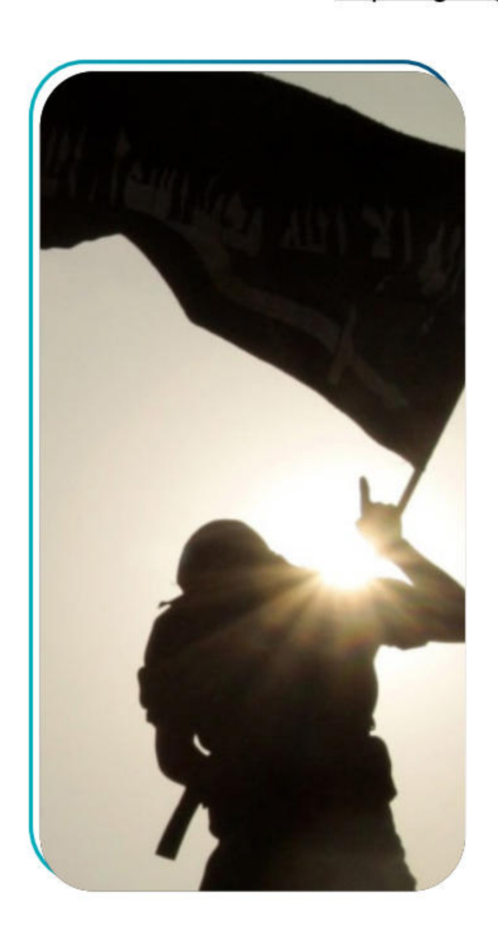
- ويـروي البيهقي في "المحاسن والمساوئ" أن صاحبنا جعفرًا كان صاحب النصيحة الشهيرة عن المقارنة بين عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ومصائر أولادهما، وأنه نصحها للمنصور قائلا: "يا أمير المؤمنين أدركت عمر بن عبد العزيز سنتين، لم يتخذ مالاً ولم ينشيء عيناً، ولم يستخرج أرضاً، ولم يضع لبنة على لبنة، ولا أُحصي كم من ولده تحمل الحمالات، وحمل على الخيل، وولي هشام بن عبد الملك ثماني عشرة سنة ما منها سنة إلا وهو ينشيء فيها عيوناً ويتخذ فيها أموالاً ويقطع لولده القطائع، ولا أعرف اليوم من ولده رجلاً يشبع".

" هذه أخبارُ تعد على أصابع اليد الواحدة عن رجل واحد، إلا أنها تدل على مبلغ كفاءته في الحرب والسياسة معا، وليس المقصود من هذا المقال إلا لفت الانتباه إلى ضخامة عدد المجهولين وأخبارهم في تراثنا، وأن أخبار كثير منهم مطمورة مغمورة تحتاج من يستخرجها. "

(٢)

ما سبق كانت هي القصة.. فما سبب إيرادها هنا؟

السبب كان تقريرا قرأته قبل مدة يبحث في إنتاج المراكز البحثية الغربية عن سبل الانتصار على حركات الجهاد والمقاومة الإسلامية، وقد رصد هذا التقرير اتجاها عاما في المراكز الغربية يتلخص في: ضرورة الفصل بين هذه الحركات وبين حواضنها الشعبية، إذ ستظل هذه الحركات دائمة التجدد مهما أبيد بعضها وأخمد بعضها طالما أن الإسلام يمثل عقيدة قتالية تعتنقه الشعوب المسلمة، وهو ما سيوفر دائما مددا من المجاهدين والمقاتلين إما لرفد الحركات القائمة أو لإنبات حركات جديدة. راجع: https://goo.gl/Fc4nZS



ومن ثَمَّ فلا بد من نشر وترويج نسخة جديدة من الإسلام في هذه المجتمعات المسلمة، ومن ضرورات هذه النسخة أن ينطق بها مسلمون مخلصون، إذ لو نطق بها الغربيون أو حتى العلماء الرسميون التابعون للسلطة فلن يمنحها هذا المصداقية اللازمة لانتشارها في المجتمعات الإسلامية.. وهكذا فلا بد من البحث عن البديل المناسب الذي لا بد أن يكون من داخل المجتمعات المسلمة، ويمثل نمطا طبيعيا فيها ليجري دعمه والترويج له بدون فجاجة ليسود خطابه المنافر لحركات الجهاد والمقاومة فتنقطع الأمة عن إمداد هذه الحركات فيسهل إخمادها وإبادتها بلا رجعة.

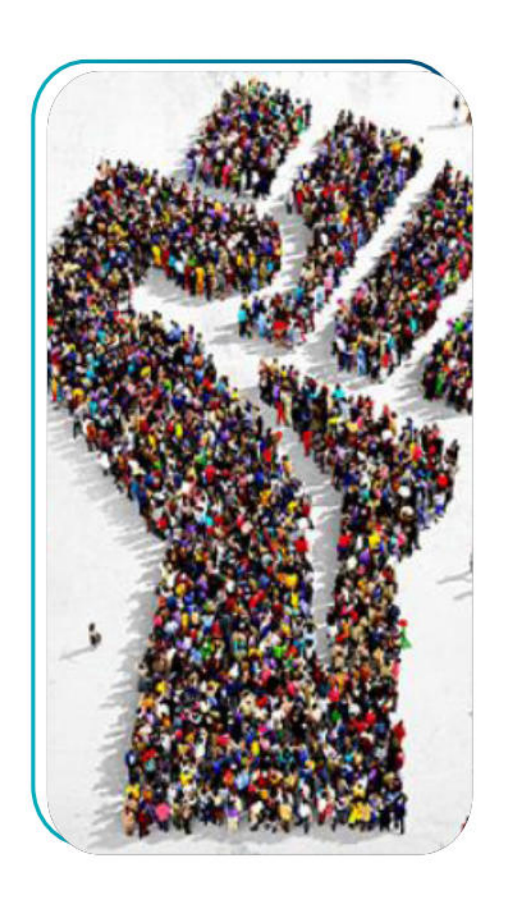
بحسب التقرير تنحصر هذه البدائل في خمسة رئيسية، لكل طيف من المراكز البحثية الغربية واحد تميل إليه، وهم: الإسلام الرسمي التابع للسلطة، الطرق الصوفية، السلفية الدعوية (العلمية)، الحركات السياسية (الإخوان المسلمون).

يعرف الباحثون الغربيون الذين اقترحوا هذه البدائل أن كلا منها قد يتحول إلى خطر بنفسه إذا جرى دعمه، وربما يشب عن الطوق، فحتى الأزهر الذي يمثل السلطة الرسمية يُخشى منه دعمه أن تتجدد زعامته المشيخية ودوره التاريخي القديم في مكافحة الاحتلال، وكذا الطرق الصوفية التي لها تاريخ عريق في الجهاد لا سيما في الشمال الإفريقي والعراق وتركيا والجناح الشرقي للعالم الإسلامي، وكذا السلفية العلمية التي تحتضن أصولها الفصل الواضح بين المسلمين وغيرهم وبين دار الإسلام ودار الكفر والتي تعد أضعف الاتجاهات الإسلامية في تقبل الحداثة، وكذلك الإخوان المسلمون الذين يمثلون خطرا قويا وهم الذين أفرزوا حركة مثل حماس ورجلا مثل أردوغان وكادوا أن يحققوا تحولا خطيرا بمصر!

المضحك المبكي أن ما يعرفه هؤلاء الباحثون ويحذرون منه لا يعرفه أبناء التيار الإسلامي نفسه الذين يسود بينهم سوء الظن بعضهم في بعض، وتختزن عقول كل طائفة منهم قائمة طويلة من جنايات وإساءات وخيانات وأخطاء وجرائم الطائفة الأخرى!!

الواقع أن هذه الخنادق والفوارق الواسعة من التباغض وسوء الظن هي التي دفعت أولئك الغربيين (الذين يكرهوننا جميعا ويحاربوننا جميعا) لأن يتوقعوا أن يكون بعض الإسلاميين بديلا عن بعضهم الآخر، بل وأن يكونوا ذراعا لضرب البعض الآخر، ويبدأ عملهم في التفريق والتوظيف، بينما هم يطمحون إلى غاية تدمير الجميع ونشر الكفر التام بين المسلمين.

نحن نعلم بيقين، ومن واقع ما عايشناه وشاهدناه، أن في كل هذه البدائل أناسا مخلصين للإسلام إخلاصا لا سبيل للشك فيه، مجاهدين في سبيله بأموالهم وأنفسهم، باذلين له من أوقاتهم وأعمارهم ودموعهم ودمائهم، بل في كل أولئك أناس مستجابو الدعوة يُستعان بهم في الشدائد، فضلا عن أن في كل أولئك كـفـاءات علمية وشرعية ودعوية وإدارية وسياسية وعسكرية وغير ذلك.



فلمـاذا ينبغـي أن يكون بعض أولئك بديلا لبعضهم الآخر، ولا يكن بعضهم لبعض مكملا وسادًّا للفجوات والثغور والاحتياجات الملحة؟

نعم بين هذه الأطياف من المشكلات الفكرية والتاريخية بل والاختلافات العقدية ما هو معروف، وليس مطلوبا الآن التفتيش في هذه الأمور، بل المطلوب هو التعاون في ظل هذه النوازل الكاسحة التي تريد استئصال الإسلام كله.

لئن وُجِد في الكفار الأصليين من يعرف الفوارق بين الاتجاهات الإسلامية إلى الحد الذي يريد فيه ويعمل على توظيف بعضهم ضد بعض، أفلا ينبغي أن يكون في العاملين للإسلام من المنصفين وأهل العدل والحلم والروِّية من يستثمر في العلاقة مع الأطياف الأخرى لسد النقص وملء الاحتياج وجبر الكسر؟!

فإذا لم يكن هذا موجودا ولا محتملا فأضعف الإيمان أن تكون العلاقة بين الإسلاميين بالقدر الذي يتعطل معها توظيف بعضهم ضد بعض، لئن لم يكونوا معنا ولم يكونوا إلى جوارنا فليكونوا محايدين ولا يكونوا في المعسكر الآخر!

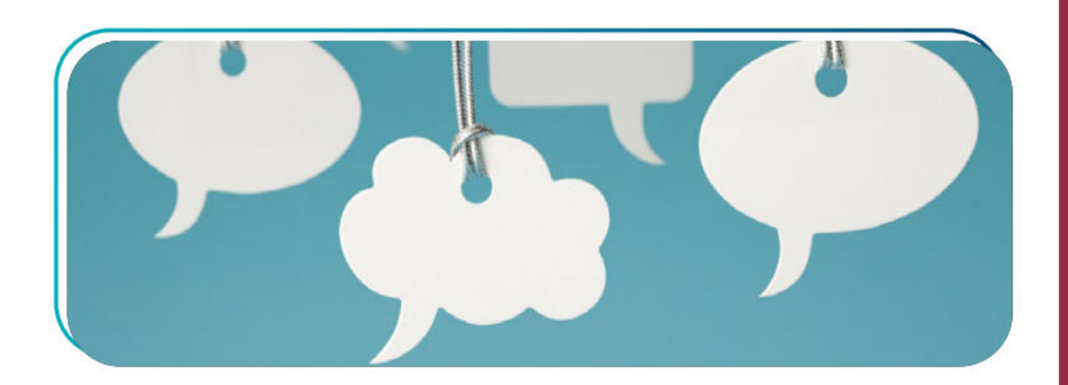
ويجدر أن نتعلم هذا أول ما نتعمله من نبينا الكريم -صلى الله عليه وسلم- فقد جعل الوليد بن الوليد يراسل أخاه خالدا ويعده ويمنيه بأن رسول الله يعرف له حقه وما مثل خالد يجهل الإسلام، هذا وخالد هو صاحب الهزيمة القوية في أحد والتهديد الخطير في الحديبية. بل وفي اللحظة الأخيرة أعطى رسول الله لأبي سفيان شيئا لنفسه لأنه رجل يحب الفخر فذهب هذا مفتخرا ينادي "ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن"، وأبو سفيان قبل هذه اللحظة رأس العداوة للإسلام وللنبي.. والمواقف كثيرة وليس يجهلها الإسلاميون ففي كل منهم علماء وفقهاء وشرعيون.

ثم لنتعلمه من تاريخنا، وهذه القصة التي سقتها عن جعفر بن حنظلة البهراني مجرد واحدة من كثير، بل إن قصص العفو عن الخصوم واصطناعهم لهي حديث طويل تزخر به كتب التاريخ وكتب آداب المجالس وكتب الحلم والأمثال.

فإن لم يسعف هذا فلنتعلمه من أعدائنا، ولعمري إن العكوف على مذكرات الساسة البريطانيين وحدها، لتأتينا بثروة هائلة من حسن سياستهم في تدبير شأن القبائل ومعرفة الحق لرؤوسها، واصطناعهم لشيوخها ورجالها، مهما كانت بينهم وبين الإنجليز معارك طاحنة، وبهذه السياسة التي مهما كرهناها منهم فلا نملك إلا الإعجاب بها وبأنها وفرت عليهم أنهارا من دماء وبحارا من أموال وصنعت لهم نفوذا لا زلنا نصارعه ونكابده. وقد فعلوا هذا كثيرا بعد انتصارهم وتمكنهم، وبه كسبوا أوضاعا جديدة وانتزعوا فتيل ثورات كان يمكنها أن تطيح بهم وتسبب لهم إزعاجا شديدا. ولو أن لي من الأمر شيئا لخصصت مركزا بحثيا ينفق عليه من أموال الإسلاميين لتحليل مذكرات الساسة الأجانب فحسب في مراحل تاريخنا المختلفة فإن فيها دروسا عظيمة عظيمة، وما على الرجل أن يتعلم من عدوه إذا أحسن عدوه الإنجاز!

(٣)

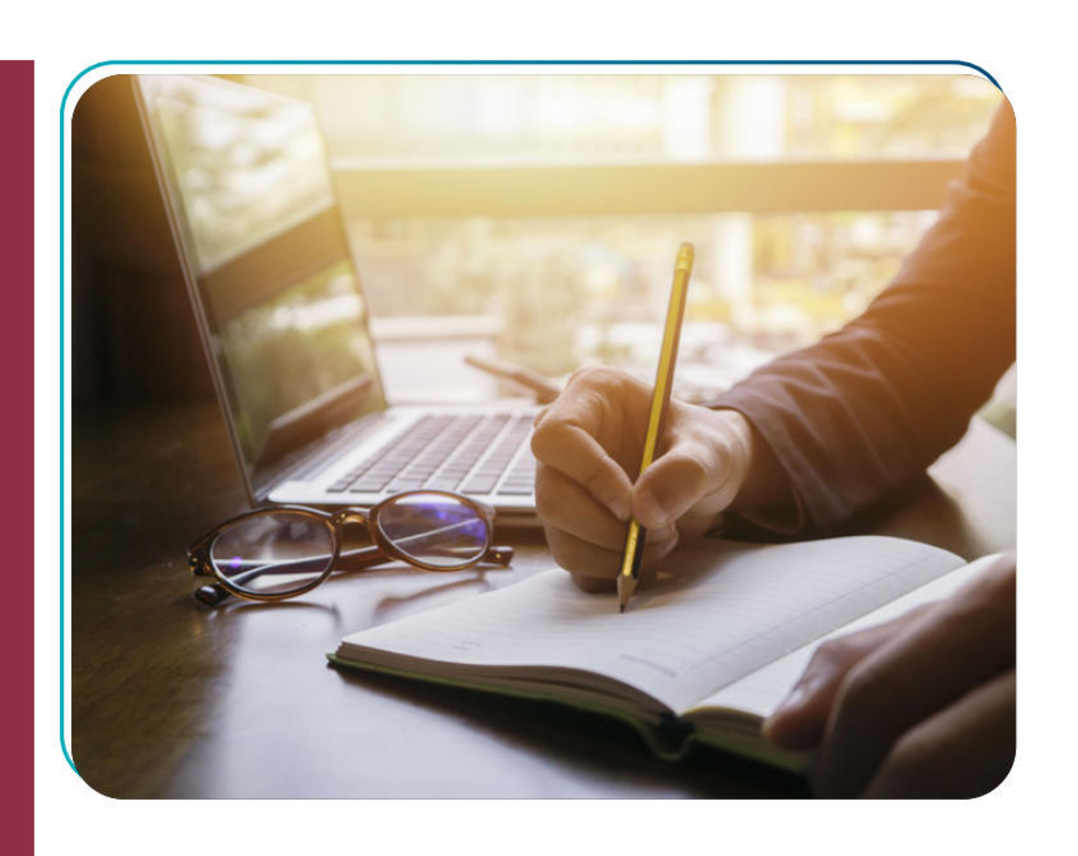
بقي أمرُ أخير يحملنا على ذكره بعض التعليقات التي جاءتنا على بعض المقالات التي نشرت في المجلة، والتي ترى أن المجلة تتخذ موقفا معينا من فصيل في ثورة الشام المباركة، وقد جاءتنا تعليقات متعاكسة، فبعضها يرى أننا نأخذ موقفا مادحا من فصيل ما وبعضها يرى أننا نأخذ موقفا قادحا من الفصيل نفسه.



ولتوضيح هذا الأمر، نقول:

(١) قولا واحدا وقاطعا ليس للمجلة موقف أو انحياز لأحد الفصائل أو الفرق أو الجماعات لا في داخل الشام ولا في خارجه، ويشهد الله أن المجلة فكرة ذاتية من العبد الفقير، ومن معه من الأصدقاء ممن يقومون بشأن المجلة لا ينتمون لحزب ولا لجماعة ولا لطائفة.

(٢) المجلة تفتح أبوابها لاستقبال المقالات من الجميع، وتجري مراجعة المقال على قاعدة: هل هو نافع أم لا؟ فإذا ترجح ذلك نُشِر وإن لم نوافق على كل ما فيه، ونحن حريصون -كما ذكرنا ذلك مرارا- أن تكون مادة المجلة نافعة للعاملين.. فليست تهتم لا بالثناء على أحد ولا بالقدح في أحد.. وإن كان المدح والقدح يجريان بالضرورة في نقاش أية قضية، فكيف بمناقشة القضايا العويصة في زمن الاستضعاف وفي خضم الفتن التي تجعل الحليم حيرانا؟!



(٣) والمعنى المباشر لما سبق أن المجلة تستقبل المقالات من أفراد تختلف آراؤهم وتوجهاتهم، وكل هذا مرحب به، بل نحن حريصون عليه.. لكننا في ذات الوقت نحرص أيضا ألا تكون المجلة سجالات بين أطراف مختلفة، وألا تتحول إلى مجرد ساحة فكرية لتبادل الردود والاتهامات. فالأصل الذي يقاس عليه كما نكرر: هل المقال نافع أم لا؟

(٤) وكل الأمور التقديرية عرضة للصواب والخطأ، فإنما نحن بشر، ولربما أخطأنا التقدير فنشرنا ما حقه الحجب، أو حجبنا ما حقه النشر، وإنما هذا مبلغ اجتهادنا.. ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.



الكليات العسكرية:
بين الاندماج والانعزال

محمود جمال

من يقرأ تجارب ونماذج الحركات الإسلامية التي كانت تهدف إلى تغيير النظم الحاكمة في بلدانها، يرى أن لدى بعضها خططًا واضحة المعالم لكي تصل نهاية المطاف إلى أهدافها الموضوعة، ومن تلك الحركات من نجحت فعليًا في السيطرة على الحكم لعشرات السنين.

كل هدف يقوم صاحبه للوصول إليه بإعداد العدة والأدوات المناسبة التي ستساعده في تحقيقه، ولكنني هنا أحاول أن أركز على أمر مهم كان من أهم العوامل في قراءة التجارب السابقة التي نجحت وسيطرت فعلياً على الحكم، والتي لم تنجح ولكن لم تغفل هذا الأمر. وهو الانخراط في مؤسسات الدولة المتمثلة في الأجهزة العسكرية والأمنية والمعلوماتية والقضائية، حتى يكون هناك أفراد منتمون لتلك الحركات داخل تلك المؤسسات، لفهم تلك المؤسسات من ناحية، ومن ناحية أخري تكون تلك الأفراد هي اليد التنفيذية لأي حراك قد تقوم به تلك الحركات للسيطرة على الحكم.



تجارب ونماذج

فعلي سبيل المثال من يقرأ في التجربة السودانية الإسلامية التي نجحت وسيطرت على الحكم عام ١٩٨٩م، عن طريق انقلاب عسكري قام به الضباط المنتمون للحركة الإسلامية، يرى أنه قبل سنوات من تنفيذ هذا الانقلاب كانت الجماعة تعد نفسها لمثل ذلك الأمر.

في يونيو ١٩٦٩ قام العقيد أركان حرب جعفر النميري بانقلاب عسكري بالتحالف مع قيادات الحزب الشيوعي، وقبض على رئيس الجمهورية في ذلك الوقت "إسماعيل الأزهري" وأسس حزب "الاتحاد الاشتراكي السوداني" كحزب وحيد في البلاد.

في هـذه الفتـرة كان زعيم الحركة الإسلامية في السودان هو حسن الترابي، الذي كان يؤمن بالتغيير البطيء، فأقنع الإسلاميين بإدخال أبنائهم في المؤسسات العسكرية الجيش والشرطة، وقبل الانقلاب بعامين، وتحديدًا عام ١٩٦٧، تخرج في الكلية الحربية دفعة جديدة، كان من بين طلابها عمر حسن أحمد البشير، البالغ من العمر ٢٧ عامًا، وكان من طليعة الشباب الذين تخرجوا من شباب الإسلاميين. [١]

استمر النميري فـي الحكم حتـى عـام ١٩٨٥ ، وبينما كان في رحلة إلى الخارج اندلعت احتجاجات شعبية، قادها الإسلاميون بمختلف أحزابهم بالتعاون مع اليساريين، ضد حكمه العسكري. نُفي النميري، وتولي المجلس العسكري بقيادة عبدالرحمن سوار الذهب إدارة المشهد السياسي خلال فترة انتقالية استمرت لمدة عام كامل، إلى أن وصل الحكم أول رئيس مدني اسمه أحمد المرغني.

عد تهميش الإسلاميين في عهد أحمد المرغني من أسباب غضب الحركة الإسلامية من نظام حكمه وخطّط الإسلاميون في تلك اللحظة للانقلاب على حكومة "المرغني" بدقة متناهية، وكان قد تخرج في الكليات العسكرية نحو ١٥٠ برتب عسكرية متفاوتة، موزعون على مناصب مختلفة في الجيش، وكان أعلاهم رتبة العقيد الركن آنذاك عمر البشير. جاء يوم ٢٩ من يونيو ١٩٨٩، واستدعي رجال "الجبهة القومية الإسلامية" داخل الجيش، واختير "البشير "لقراءة البيان الأول للانقلاب.

الحـركــة الإسلامية في السودان لم تقم بمثل هذا الأمر الخطير والذي عند فشله يكون مشنقة ومحرقة ونهاية لمرتكبيه، إلا بعد توغلها في المؤسسة العسكرية نحو ما يقرب من ٢٠ عام، فكان لها أفرادها في تلك المؤسسة التي يرتكز عليها أي انقلاب عسكري ومن يستطيع أن يخترقها بخطة محكمة مدروسة يستطيع أن يوصل لمبتغاه.

---

[١] عمر البشير.. رئيس الصدفة الذي وضعته العمامة الدينية في الحكم 03 عامًا، نون بوست، الرابط

جدير بالذكر أن البعض كان يرى أن المفكر سيد قطب كانت له رؤية مطابقة لمثل ذلك الأمر، والبعض فهم من كلام "قطب" أن تنظيم ٦٥ والذي بسببه حكم على سيد قطب بالإعدام هو ومجموعة من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بزعم محاولة إحياء التنظيم الخاص كان من ضمن أهدافه انخراط أفراد التنظيم داخل الجيش لإحداث التغيير المأمول. نص الاتهام في أوراق القضية رقم ١٢ لسنة ١٩٦٥م على ما يلي: "المتهمون في الفترة من سنة ١٩٥٩ حتى آخر سبتمبر ١٩٦٥ بالجمهورية العربية المتحدة وبالخارج حاولوا تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة فيها بالقوة، بأن ألفوا من بينهم وآخرين تجمعًا حركيًا وتنظيمًا سريًا مسلحًا لحزب الإخوان المسلمين المنحل يهدف إلى تغيير نظام الحكم القائم بالقوة، باغتيال السيد رئيس الجمهورية والقائمين على الحكم في البلاد وتخريب المنشآت العامة وإثارة الفتنة في البلاد".[٢]

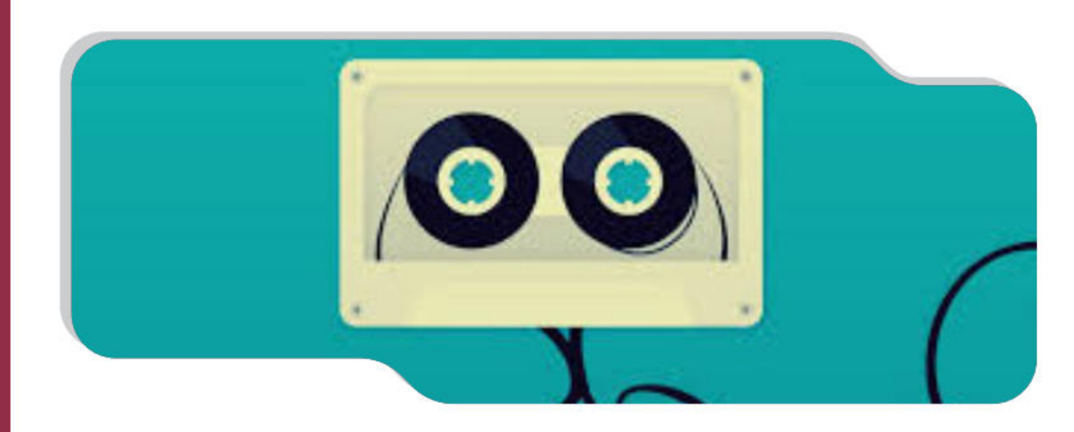


كارم الأناضولي وهو الطالب المسؤول عن الطلاب العسكريين في تنظيم الفنية العسكرية عام ١٩٧٤م، عدّ موت سيد هو وقود النضال له ولأصدقائه العسكريين ، وأعلن ذلك صراحة في مرافعته أمام المحكمة والمنشورة بصوته: "فإن هذه القضية التي أنا متهم فيها الآن ليست قضية "الفنية العسكرية" ولا قضية "صالح سرية"، ولكنها في حقيقة الأمر هي نفس قضية حسن البنا، هي بعينها قضية يوسف طلعت وإبراهيم

(٢) بالفيديو| "تنظيم ٦٥".. تهمة وضعت حبل المشنقة حول رقبة "قطب"، الوطن، الرابط

الطيب ومحمد فرغلي وعبد القادر عودة ومحمد هواش وعبد الفتاح إسماعيل، ويكفي أن نقول: إنه ما كان مقتل سيد قطب إعدامًا كما صوروه وأرادوه بقدر ما كان بعثًا للإسلام والمسلمين، وما هذا الشباب المتعطش للإسلام اليوم في الجامعات إلا بشائر هذا البعث، وإن أخانا سيد هو الرجل الذي قُتل لئلا يُعبد في الأرض إلا الله". [٣]

وبالعودة إلى المرافعات المسجلة صوتيًا في أحداث تنظيم الكلية الفنية العسكرية، نجد كلمات سيد قطب حاضرة في كلمات المتهمين على الدوام، فبحسب شهادة أيمن الظواهري، حين طلبت زوجة صالح سرية (المُنظر للتنظيم) أن يقدم طلب عفو إلى السادات، تمثل سرية مقولة قطب الشهيرة "إن السبابة التي ترتفع لهامات السماء موحدة بالله عز وجل لتأبى أن تكتب برقية تأييد لطاغية ولنظام مخالف لمنهج الله الذي شرعه لعباده".



جدير بالإشارة أن طلال الأنصاري وهو أحد أعضاء تنظيم الفنية العسكرية، قال إن الشيخ محمد بسيوني كان يشجع الشباب على الالتحاق بالكليات العسكرية، وأضاف أنه بالفعل التحقت مجموعة من الشباب بالكليات العسكرية.[٤]

---

(٣) بعد القبض على "عشماوي".. لماذا كان الجيش المصري مصدرا لأخطر الجهاديين؟، ميدان، الرابط
(٤) الشهادة العكسية لطلال الأنصاري، المصريون، الرابط

تنظيم الفنية العسكرية كان يقوده صالح سرية، وذلك التنظيم كان يهدف بالأساس إلى تغيير نظام الحكم في مصر عن طريق الانقلاب العسكري، كان من أولى اهتمامات صالح سرية توصيل أفكاره لبعض الطلاب المنتمين للكليات العسكرية حتى يكونوا الأداة التنفيذية فيما بعد لمخطط التنظيم، ونجح سرية بالفعل في توصيل أفكاره لبعض من طلبة الكلية الفنية العسكرية ثم انضم إليه بعض طلاب الكلية الجوية.[٥] وحاولوا أن يغتالوا السادات مرتين ولكن لم ينجحوا وقُبض عليهم ومحاكمتهم.

أيضاً الجماعة الإسلامية عند تخطيطها لاغتيال السادات عام ١٨١٩ م، ركزت على أفرادها الموجودين داخـل الجيش لتنفيذ مخططهم الـذي نجحوا في تحقيقه. فمن نفذوا عملية مقتل السادات هم مجموعة من الضباط يحملون الفكر الإسلامي وهم خالد الإسلامبولي وهو المنفذ الرئيسي للعملية فقد كان ضابطاً بالجيش المصري "أُعدم"، وعبود الزمر كان أيضاً ضابطاً بالمخابرات الحربية وشارك في تنفيذ وتخطيط العملية، وحسين عباس "أعدم" كان رقيبًا متطوعًا بالقوات المسلحة بالدفاع الشعبي وهو قناص بارع.[٦] كذلك عطا طايل حميدة رميح "أعدم" كان ملازمًا أول مهندس احتياط.[٧]

وعند النظر لمحاولة الانقلاب الفاشل الذي حاولت أن تقوم به جماعة فتح الله جولن كما أعلنت الدولة التركية في ١٥ يوليو ٢٠١٦ م، كان يرتكز هذا الانقلاب على الأفراد المنتمين لذلك التنظيم داخل الجيش وجهاز الشرطة والقضاء، والذي ظل تنظيم جولن يلحق أفراده داخل تلك المؤسسات على مدار عشرات السنين، حتى يستعين به في الوقت اللازم، وبناءً على ما يراه البعض فإن تنظيم جولن يسعى للسيطرة على الحكم وهذا هو مخططه ومبتغاه، لذلك كان يدمج أفراده داخل أجهزة الدولة، ليكونوا اليد التنفيذية لمخطط التنظيم عند ساعة الصفر.[٨]

---

[٥] تنظيم "شباب محمد" أو "الفنية العسكرية"، بوابة الشروق، تاريخ النشر 25 سبتمبر 2018 م، تاريخ الدخول 27 ديسمبر 2018 م، الرابط

[٦] اغتيال السادات : القصة الكاملة لاغتيال الرئيس المصري، الرابط

[٧] مجند مصري يروي تفاصيل اعدام قتلة السادات.. سألتهم قبل اعدامهم : هل تدخنون السجائر " صور و فيديو "، الرابط

[٨] كيف بدأت محاولة الانقلاب بتركيا وكيف انتهت؟، الجزيرة نت، الرابط

ماذا إذاً :



إن الحركات الإسلامية في مصر بمختلف أسمائها كانت طيلة الثلاثين عام الماضية تحذر أفرادها من الانتماء إلى المؤسسة العسكرية أو الشرطية في مصر بدعوى الخوف عليهم من الغرق في امتيازات تلك المؤسسات، وبذلك يبعدوا عن أفكار وتوجهات تلك الجماعات التي تقوم بغرسها لأفرادها منذ الصغر. تخوف من وجهة نظري ضرره أكبر من نفعه، إن تلك الجماعات من المفترض أنها جماعات تدعو إلى التغيير والإصلاح كما تصف أنفسها، فكيف تتقوقع على نفسها وأفرادها وتنزوي في ركن شديد وتقوم بالدعوة وإصلاح وتغيير مؤسسات الدولة؟

إن من مقتضيات وموجبات التغيير للجماعات والحركات التي تسعى وتعمل لمثل ذلك الأمر، أن تدعو أفرادها لكي تندمج في مثل هذه المؤسسات، والتي بالابتعاد عنها وعدم وجود أفراد تحمل فكر وإيديولوجيا تلك الجماعات بداخلها لن تنجح أي حركة تغيير.

وأخيرًا هناك أهداف مختلفة تدفع الأفراد للالتحاق بالكليات العسكرية، فكل طالب يُقدم كي يلتحق بالكليات العسكرية يكون له هدف من وراء ذلك؛ فمثلاً البعض كان يرى أن إسرائيل هي العدو الأساسي للجيش المصري فينضم للجيش كي يواجه ذلك العدو، ومنهم من يلتحق من أجل الحصول على الامتيازات الخاصة التي يتحصل عليها ضباط الجيش، ومنهم من يلتحق وله تصور معين عن المؤسسة العسكرية ومباشرة بعد الالتحاق يرى أن تصوره كان خاطئاً ويحاول تصحيح المسار بطرق مختلفة. ولعل الضباط الذين ضحوا حديثًا بكل الامتيازات العسكرية من أجل تصحيح مسار المؤسسة التي من وجهة نظرهم حادت عن الطريق الصحيح بغض النظر عن صحة أو خطأ النموذج الذين اتخذوه في تصحيح مسار المؤسسة -خير مثال.



أبو يزن الشامي

وفريضة الاعتبار الغائبة (٢)

مقدمة

لعله من الضرورة الملحة بمكان، وفي ظل الحملة الجوية الروسية الأخيرة الشرسة المستمرة منذ أبريل ٢٠١٩ م على الشمال السوري المحرر آخر قلاع الثورة، ومع نزول القوات الخاصة الروسية للأرض بغية حسم المعركة، وتداعي إيران بنخبة قواتها وميليشياتها والتحاق مقاتلي حزب الله اللبناني بالمعركة في الأسابيع الأخيرة، ومع الاستبسال الأسطوري على الجبهات القتالية بحماة وإدلب والساحل السوري لعدد كبير من الفصائل الثورية وقادتها على اختلاف مشاربهم ومشاريعهم، لعله من الضرورات في هذا المقام (وفي هذه المقالة الثانية) مواصلة رصد استدراكات ومراجعات أبي يزن الشامي لذهنية وأثر السلفية الجهادية في الساحات وآخرها السورية، وسنكتفي في هذه العجالة بنقطتين في غاية الأهمية.

أولاً: كارثية المعارك المنهجية أثناء تداعي وتكالب الأمم

انطلاقًا من إدراكه للأبعاد الإقليمية والعالمية للثورة السورية، واستشفافه لطول المعركة وضراوة الحرب، واستيعابه للتأثير المدمر للمعارك المنهجية في هذا التوقيت على وحدة الصف الثوري المجاهد، وعلى الحاضنة الشعبية، لم يزل أبو يزن يردد مقولته التحذيرية التالية: "عندما يضيع المعلوم من الدين بالضرورة يدرك أصحاب المعارك المنهجية عبثية معاركهم، غداً إذا استباح النصيرية البلاد والعباد لا قدر الله لن نعد وقتها نفكر بإقامة الشريعة، وسينخفض سقف طموحاتنا من إقامة دولة إسلامية إلى أن يصبح الحصول على رخصة معهد شرعي كي نربي طلاباً يقومون بعد عشرين سنة بثورة، أو يكون سقف طموحاتنا قدوم حكومة ديمقراطية علمانية كي تسمح بالمعاهد الشرعية، عندها سنشعر كم كانت معاركنا عبثية، وأننا أضعنا وقتنا ووقت الأمة.. افهمني، لا أريد أن نصل لهذه المرحلة".

هذا المعنى طالما دندن حوله أبو يزن وحذر من خطورة تخوين وتشكيك تنظيمات السلفية الجهادية بعقيدة وصدق غيرها من الجماعات الإسلامية المقاتلة، لأمور كـ: تهنئة أردوغان بالفوز في الانتخابات، أو إقامة علاقات وتحالفات مع بعض الدول، أو الاجتماع على ميثاق ثوري مرحلي يهدف لتوحيد الجهود وتركيزها على إسقاط النظام كاملاً ودحر سائر الغزاة، دون التصريح بهدف تحكيم الشريعة.

س: هل التصريح بهدف تحكيم الشريعة في الخطابات السياسية واجب شرعي؟

أبو يزن الشامي: "الدولة الإسلامية هدفنا وهذا شيء صريح وواضح، لكن كما قلنا النبي صلى الله عليه وسلم بعث لتؤمن الناس بالرسالة، هل وجدته في صلح الحديبية كتب من محمد رسول الله ونبيه وخليله؟!، لا لأنه يريد أن يحقق هدفًا مرحليًا وأنت أحياناً بحاجة لخطابات سياسية تحقق هدفًا مرحليًا لتصل إلى غايتك لكن هذه الإلزامات وهذه الدندنات ناتجة عن جهل بالشرع وضعف في فهم الواقع لابد من علاجها بالتربية السياسية والتناصح والتواصي بالحق".

وإن ما نراه حالياً من قتال جل التنظيمات السلفية الجهادية في خندق واحد مع غالب الجماعات الأخرى (برها وفاجرها) التي قاتلتها سابقاً، وسكوتها عن، وتأجيلها للمعارك المنهجية معها، ليأكد صحة ما ذهب إليه أبو يزن وأمثاله.

ثانياً: مناخ الغلو ومناهج التمكين

ومقصود أبي يزن بالغلو هنا ليس فقط الغلو في التكفير، إنما رفع سقف المشروع الإسلامي لحد لا يطيقه في الوقت الراهن، قال أبو يزن: "لا يخفى على العاقل المتتبع لتاريخ نهوض الأمم أنها تمر بأطوار نمو كأطوار نمو الإنسان (على حد وصف ابن خلدون) أو نمو الشجر كما في التعبير القرآني (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ) فإذا بلغ هذا أصبح (عْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) وإن محاولات النهوض كثير منها ما يتعرض للاجتثاث أو أن فسيلة النهوض لا تجد أجواء صحية للنمو فتموت أو يطرأ عليها ما يفسد أسس نموها فتذبل وتموت.

وإن أشد ما يفسد هذه النمو ويعود عليه بالهلكة والدمار هو الغلو، فإن الغلو لا يوصل إلى المطلوب ولا يحافظ على الجماعة التي منها الانطلاق وهي رأس المال، وإن أردت برهان ذلك من الشرع فتأمل قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا يقطع أرضًا ولا يبقي ظهرًا".

فالمغالي لا يعرف حدودًا للتوقف ولا يرضى التريث، فهو منبت (المُجد في السير) فلا يصل لهدفه ولا يحافظ على الظهر (الجماعة) التي منها الانطلاق، فالغلو عنصر تدمير ذاتي لأي مشروع إسلامي لأنه يعرض الزرع لتحديات بمرحلة الشطء كما لو أنها في مرحلة استوى على سوقه فلا يطيق المشروع الهجمة عليه فيجتث ويفنى، هذا من برهان الشرع، وإن أردت من شواهد الواقع فيكفي أن تسير في الأرض فتنظر في أحداث الجزائر فالصومال فالعراق والمأزق الحرج الذي وصل له الجهاد الشامي لطف الله به".

وأضاف فـي موطن آخر، أنه ما من محاولة نهوض معاصرة، قُرنت بالجهاد المسلح، وبرز فيها التوجه والمناخ الإسلامي بين عموم الـنـاس، إلا وتدخلت المخـابـرات الـغـربـيـة، وقـامـت بتغذية طرفي نقيض: (١) الغلو لهدم المشروع من جذوره ومن داخله وفض الناس عنه بعد معايشتهم لصورة مشوهة وقمعية وطائشة، ثم يأتي دور (٢) المشروع العلماني التابع للغرب بحُلة ديمقراطية "لإنقاذ" الناس من "جحيم" الغلاة، كما حدث في التجارب التي قـادتها السلفية الجهادية.

خاتمة

وعلى الرغم من ظهور تغير في مسألة واقعية وسقف المشروع عند هيئة تحرير الشام (الفرع السابق للقاعدة في سورية) إلا أنه لا يظهر عليها أي تغير ملموس في مسألة المعارك المنهجية مع الجماعات الإسلامية الأخرى، أما فيما يخص عموم الجماعات السلفية الجهادية وخاصةً العالمية، ومع الأخذ في الحسبان التفاوت بين مشروعي تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة، فيبدو أن كليهما متمسكُ بنهجه، سواءً فيما يخص جوهر مشروعه وسقفه، أو معاركه المنهجية، وللحديث تتمة بحول الله وقوته.



من يعكر صفو وادي كشمير ؟

صبغة الله الهدوي

كشمير، تلك الجنة التي جذبت الألوف المؤلفة قلبًا وروحًا، تلك الوديان التي رسمت في كيان العشاق ألوان الأمل والحلم، وتلك الثلوج والجبال التي حاكت للشعراء والسمر حبكة القصائد والقصص، تقف الآن في مفترق الطرق حائرة متوترة، وتشهد مرحلة مهمة في تاريخها الدامي إذ أُلغي قانون الحكم الذاتي الذي تمتعت به لسنين طويلة، والذي تميزت به من بين الولايات الهندية الأخرى، فالحكم الذاتي هو عبارة عن إعطائها حق سن القوانين الخاصة التي تكفل لها صنع القرار بشكل مستقل عن الحكومة المركزية.

وهاجت المدن الهندية حتى في كيرالا أقصى جنوب الهند احتجاجًا على هذا القانون الذي فرضه بي ج بخلف ستار الوطنية والوحدة القومية، مما جعل الأحزاب الأخرى القيادية متورطة في الفخاخ التي نصبها بي ج ب، ومما جعلها منخدعة في تلك الأجندة التي وضعها خلف الكواليس، ولاحت انعكاساته في باكستان أيضا حتى انطلقت تتذامر وتتوعد بحتمية الحرب، وأقبل رئيسها عمران خان ليعلن يوم النكبة، والغريب في هذا الأمر أن القرار قد صادف شهر أغسطس الذي هو بالنسبة لكليهما موسم الاستقلال.



موقعها الجغرافي

يقع إقليم كشمير في شمال غرب شبه القارة الهندية، بين آسيا الوسطى وجنوب آسيا، وبين خطي عرض ٣٢,٨ و ٥٣٦,٥٨ ، وخطي طول ٣٧,٢٦, و ٣٠, ٨٠. وتتقاسم حدودها أربعة دول: إقليم التبت من الشمال الشرقي والشرق لمسافة ٤٥٠ ميلاً، والهند من الجنوب الشرقي لمسافة ٣٥٠ ميلاً، وباكستان من الجنوب والجنوب الغربي ولمسافة ٧٠٠ ميلاً، وأفغانستان من الشمال بشريط ضيق ولمسافة ١٦٠ ميلاً يفصلها عن تركمانستان.

لا تذكر كشمير إلا والألم منوط بكل حروفها رغم ما وشحها الله من البدائع والصنائع، من جمال وجلال، لكنها لم ترقأ لها العين في فترة من التاريخ، حروب طاحنة، وصراعات دامية عكرت صفو خاطرها الهادئ، وكل حزب قد جعل منها أسس الوطنية والبطولة، ورسموا خريطتها وفق مطامعهم السياسية، وبقيت كشمير لتحكي قصتها دامية الحروف.



استقلت الهند **١٥** أغسطس عام **١٩٤٧** بينما سبقتها شقيقتها باكستان بيوم، وخاضت مباشرًا أتون من الهجرات المندفعة التي شهدت صراعات دامية ومجازر جماعية راحت ضحيتها عشرات الآلاف من الهندوس والمسلمين والسيخ، فلم يك صبح الاستقلال صباح الأمل والفأل بل كان بداية حروب من جديد بين الجارتين المتشاكستين، فلم تمر خمسة عقود حتى نشبت بين الهند وباكستان ثلاثة حروب طاحنة من أجل كشمير مما أودى بحياة الآلاف من كلتا الدولتين.

فتاريخ الأزمة الكشميرية يعود إلى فترة استقلال الهند، إذ أعرب ملكها آنذاك هار سانغ الهندوسي عن رغبته في انضمامها لجمهورية الهند رغم أكثرية المسلمين فيها، وكان الانضمام مشروطًا باستفتاء الرأي العام، ويقال إن انضمام كشمير في جمهورية الهند حدث وفق رغبة سياسية وعاهلية من أول رئيس الوزراء للهند جوهر لال نهرو، إذ كانت له وجهة نظر تختلف عن صاحبه سارداي والاباهي فاتيل، إذ أصر على وجود ولاية ذات أغلبية مسلمة لتدل على علمانية الهند المستقلة، بينما نظرت باكستان إلى موقعها الاستراتيجي والجغرافي ووجود المسلمين الضخم في ربوعها، بل يقال إنما جرت نهرو إلى هذا الموقف أصوله المنحدرة من بانديت كشمير وعلاقته الحميمة مع زعيم وادي كشمير الشيخ عبد الله.



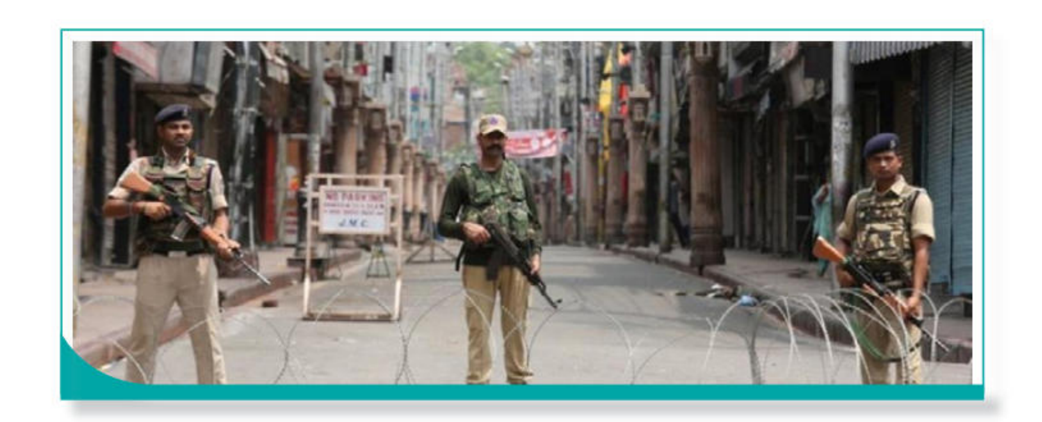
و"بانديت كشمير" هي الطبقة العليا في الهندوس، وكان بينها وبين المسلمين اشتباكات عدة حتى نزح أكثرها إلى الولايات الأخرى في الهند، فكانت هذه الأمـور شافية لتشتعل الحرب حتى تندلع نيرانها بخروج انفصاليين مسلحين من بين هذه الضجات النارية، وتمكنت من السيطرة على بعض المناطق الحدودية ليكونوا صداعًا للجيش الهندي، لكنهم أصبحوا الآن في حيرة وفوجئوا بهذا القرار الصادم مع أن الجيش الهندي في الفترات الأخيرة استرد السطوة في المناطق المتوترة بقوة وقمع، وهذا مما يوجس في خلايا الانفصاليين خيفة وهلعًا.

اعتلى مودي عرش الهند في ظلال الدعايات والوعود الانتخابية التي رفعت لتمجيد الثقافة الهندوسية، وبُني معبد راما في أيودهيا في نفس المكان الذي انقض فيه مسجد البابري، وأُلغي الحكم الذاتي لكشمير، وفرض القانون المدني الموحد، وهذه الدعايات كفت لتبث أطياف الخوف والهلع في أوساط الأقليات إذ رأت انهدام مسجد البابري، وسمعت النعرات النارية التي تهتف لإقامة معبد راما في مكانه، بل لم تتلاش في الجو الأصداء التي أحدثها بي جي ب في قضية الطلاق الثلاث لتكون إلهامًا للقانون المدني الموحد الذي يتفوه به أبواق آر أس أس.

رغم الأصوات التي هتفت لكشمير وحقوقها من الأحزاب الشيوعية ومن الأحزاب التي تصف أنفسها بأنها لسان حال المسلمين، نشأت في الهند موجة عاتية ترى هذا القانون الجديد كجزء لا يتجزأ من دستور الهند، حتى تسنى لمودي وجبهته تغطية كل التهم الموجهة نحوه من التضخم المالي والبطالة، وقضايا أخرى حساسية تورط فيها قادة بي ج ب رجالًا ونساء، وجاء هذا القانون الجديد تزامنًا مع كل هذه الأوضاع البائسة التي يعاني منها بي جي ب ليكون بلسمًا ومرهمًا على جراحاته المبرحة وتغطية على أزماته الداخلية وترقيعًا لثغراته السياسية التي يعاني منها في هذه الفترة، إذ تمر به ساعات عصيبة إذ التصقت بجبهته عارات عدة، متعلقة بقادته أنفسهم من الاغتصاب والرشوة والعنف، فكان ينبغي عليه أن يحدث قضية صارمة ليشتت النظر العام ويغير بوصلة الإعلام، حقًا لقد نجح في هذه المهمة التي نفذها على حين غفلة من شعب الهند.

حتى احتفل أعضاء بي جي ب ونشطاء المنظمات الهندوسية المتطرفة من في أتش ف وباجرانغدال بهذا القرار الصارم، ووصفوها بأنها خطوة جريئة تاريخية وضربة قاضية للمتربصين بوادي كشمير، لكن الغريب في هذا الأمر، أن مؤتمر الهند الوطني تحير وتاه في اتخاذ موقف حاسم إزاء

هذه القضية التي هو سببها في الأصل والمسؤول عن تبعاتها، فلم يستطع حتى لم شتات آراء ساسته، بما فيهم تشارن سنع زعيم كونجرس كشمير ونجل الملك هارسنع - مثار النقاش في تاريخ هذه القضية-إذ قال في حوار صحفي: "إن هذا القرار سيمنح سكان كشمير مزيدًا من الحرية لتضمن الهند حقوقهم وتحمي أراضيهم من المتوغلين". ونقد حزبه مؤتمر الهند الوطني بنقد مقذع إذ طالب من قادته بالوقوف مع بي جي ب في هذه القضية الوطنية، وهذه كلها مؤشرات على أن مودي وحاشيته استطاعوا حرف وجهة الشعب الهندي بهذه القضية المخدرة، لتعود كل الشعارات التي علت من أحزاب المعارضة الهندية أدراج الرياح.



ومن جانب باكستان، هي الآن في فترة السقوط والسكوت، إذ لم يصبح رئيسها عمران خان مبارزًا قويًا يقف في وجه مودي العملاق الذي يتمتع بشعبية كبيرة ويمتلك تجارب واسعة في ميدان السياسة العالمية، فلم يك خان سوى زعيم يتجه إلى البيت الأبيض، ويتشبس بقش الصين التي تتصيد أزمات الهند، وتنتفض بحق فيتو لضرب الهند في الأمم المتحدة، فما هو جرب الأمور الثقال وما جشم عليها حتى يقدم حلولًا ناجعة لهذه المشاكل الدولية بيد أنه اكتفى بعبارات قاسية أمام تكتيكات مودي وأمت شاه وزير الشؤون الداخلية الهندية، وعطفًا على ذلك دعمت أمريكا الهند في هذا الأمر لتورط باكستان في ورطة أكثر خطورة وتعقيدًا.

وأما تعاطف العالم الإسلامي وفي مقدمته تركيا وماليزيا مع باكستان إنما هو مجرد فقاعات وأحلام تتبخر، مع أن الإمارات المتحدة أعلنت تأييدها المطلق للهند، بل مسلمو الهند جميعهم لا يرون قضية كشمير كقضية دينية كما يشبهها البعض بقضية القدس حتى يتدخل فيها العالم العربي والإسلامي ويتكلم فيها كلام الجهاد والاستشهاد، إلا أنهم يشمون من تحركات بي جي ب رائحة البارود والعنف.



وإبان كل هذه الأزمات المتراكمة ظل المسلمون يعتقدون ويثقون في وحدة الهند اعتقاد المواطن الوفي، ويجددون لها بيعة الغازي المستميت، وفي مسلمي كشمير أيضًا عدد كبير يريدون الاندماج في المجتمع الهندي بغض النظر عن الأوهام التي صنعتها وكالات باكستان، وفي الوقت نفسه هناك شباب أحالتهم الأوضاع القاسية إلى متسلحين متطرفين فرارًا من قمع الجيوش الهندية وانبهارًا من أجندة الانفصاليين المرسومة لتشكيل دولة كشمير المستقلة.

وأما الحرب الرابعة من أجل كشمير فلا تورث إلا ضغثًا على إبالة في كلا الصفين، حيث إن لهما قضايا أخرى داخلية تشغلهما عن فكرة الحرب، فلو نشبت لا تعود إلا بأرواح الملايين، ولا يسمح الماضي لباكستان للخوض مرة أخرى في الحرب مع الهند حيث كانت الحروب الثلاث التي حدثت عام **١٩٤٧** م و **١٩٦٥**م و**١٩٩٩** م منهكة لها تمامًا.

ولا نخطئ لو قلنا إن المصالح السياسية هي التي عكرت صفو وادي كشمير، وجعلتها مرجلًا يغلى، بل أخطأ كل من الهند وباكستان والصين في اتخاذ الموقف من كشمير، إذ أخطأت الهند في محاصرتها وتطويقها وحمايتها بقوى الأمن التي لا رحمة فيهم تجاه المدنيين، بينما أخطأت باكستان في ترويج بضاعتها وتجنيد عصابات مسلحة تابعة لها، وبقي الكشميريون يتأرجحون بين كفتي الهند وباكستان، ويسمعون طبول الحرب تقرع من الحدود. «

المراجع

الأخبار المحلية وعدة برنامج تلفزيونية، وتحليلات من الصحافيين

تقرير قناة الجزيرة عن أزمة كشمير بين الهند وباكستان

timesofindia.indiatimes.com/blogs/stayingwired/debunking-a-myth-nehru-was-not-responsible-for-creating-the-kashmir-problem/

www.thehindu.com/opinion/op-ed/nehru-and-the-kashmir-quandary/article

www.aljazeera.net/news/politics/2019/8/9/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF-%D9%83%D8%B4%D9%85%D9%8A%D8%B1-%D8%A8%D8%A7%D9%83%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86

en.wikipedia.org/wiki/Exodus_of_Kashmiri_Hindus



مــــادة حصريــــة

مذكـرات الشيـخ رفاعي طـه (١٨)

من مؤسسي الجماعة الإسلامية المصرية



سجلها عنه
وحررها
محمد إلهامي

بداية الانشقـاق بيـن الإخـوان المسلمين والجماعة الإسلامية في أسيوط

- لم يعترف الإخوان بنتيجة الانتخابات، فاستمر الأمير الذي عزلناه أميرا على شبابهم
- شخصيتان اختلفتا مع الإخوان في السجن كان لهما الأثر الكبير على موقف أسامة حافظ من الإخوان
- كانت للإخوان خطة نتيجة اتفاق مع نظام السادات لتهدئة الشباب، لكنهم لم يكونوا بالحصافة الكافية لتنفيذها، فصادموا الشباب بدلا من احتوائهم، ففشلوا!

لقراءة الحلقات السابقة:

- الحلقـة الثالثــة: أول صدمة فكرية، وأول تفكير في إقامة دولة إسلاميــة
- الحلقـة الـرابعـة: عندما فهمت معنى حديث النبي من ضابط أمن الدولـة
- الحلقة الخامسـة: عندما سمع أستاذي خبر إعدام سيد قطب أحرق كتابه وهو في الصومال
- الحلقة السادسة: قصتـــي مـــع التصـــوف
- الحلقة السابعة : قصـــة ثــورة فـــي المدرســة
- الحلقة الثامنة : كنت عضوا بالاتحاد الاشتراكي
- الحلقة التاسعة: كنا البديل لما لا يعجبنا
- الحلقة العاشرة: أخفقت خطة إقامة الدولة الإسلامية عند أول عقبة
- الحلقة الحادية عشر : هكذا شاهد جيلنا حرب أكتوبر وانكسرت أحلامه في التحرير
- الحلقة الثانية عشر : بعد حوار دافعت فيه عن الشريعة الإسلامية انضممت للتيار اليساري
- الحلقة الثالثة عشر : قصتي مع اليسار في الجامعة
- الحلقة الرابعة عشر : بيعتي للشيخ السماوي
- الحلقة الخامسة عشر : بداية زعامة صلاح هاشم
- الحلقة السادسة عشر : محاولة الإخوان الهيمنة على جامعة أسيوط
- الحلقة السابعة عشر : كيف صار ناجح إبراهيم أمير الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط

وهنا يجب أن أقول للحق وللأمانة التاريخية، أن هؤلاء الشباب الذين أسسوا فيما بعد "الجماعة الإسلامية المصرية" لم يكونوا حتى ذلك الوقت معرضين ولا مستنكفين تماما أن ينضموا للإخوان المسلمين، فمنهم كثير كانوا يحملون هذا الاستعداد، وأنا من بين هؤلاء، لم يكن لدي أي مانع أن أنضوي تحت لواء الإخوان المسلمين، وكنت أرى أن خلافنا مع الإخوان إنما هو خلاف

في قضايا بسيطة، وأنهم هم الجماعة الأكبر والأقدم والأعرق، وأنهم أكثر خبرة، وأنهم علماء ونحن شباب، ويحسن بنا أن نتبعهم. ومع هذا فقد كنت أسير مع المجموع، مجموع الشباب الذين أسسوا العمل الإسلامي في الجامعة، وأرى أن وجودي بينهم هو التزام أخلاقي لا يليق خرقه، لم أفعل مثلما فعل محيي الدين عيسى وأبو العلا ماضي إذ تركوا هذا المجموع المؤسس وانضموا للإخوان المسلمين، كان الانضمام للإخوان ميل عندي وهوى في نفسي.

وبهذا يتبين لك أن هذا الطيف من الشباب لم يكن له موقف واحد من الإخوان، منهم من ترك هذا الجمع الشبابي وانضم للإخوان، ومنهم من كان هذا هواه في نفسه لكنه لم يفعل، ومنهم من لم يكن لينضم للإخوان أبدا، ومن هذا القسم الأخير كان أسامة حافظ.

وقد ذكرت آنفا أن أسامة كان متأثرا بصديقه عبد المتعال، المعيد في كلية الهندسة، والذي كان يحمل موقفا غاية في السلبية تجاه الإخوان، إذ كان قد سُجِن معهم سابقا ولعله كان منهم فوقع بينهم في السجن ما أحدث بينهما نفورا كبيرا، وكان عبد المتعال هذا صديقا مقربا من أسامة حافظ، وعنه أخذ أسامة هذا الموقف من الإخوان، وكان عبد المتعال أسنَّ منا، وكان ذا شهرة على مستوى أسيوط.

وقد تضافر مع تأثير عبد المتعال تأثير آخر، وهو تأثير الشيخ السويفي، وكان شيخا كبيرا في السن وفي العلم معا، وكان مشهورا في وقته كذلك إذ هو أحد

الدعاة المعروفين في أسيوط، وكان مسجونا قديما مع الإخوان واختلف معهم داخل السجن فخرج مغاضبا لهم ونافرا منهم وله عليهم مؤاخذات شرعية أيضا، وقصته في الخلاف مع الإخوان قصة مؤلمة ورواها لي بنفسه، نسأل الله أن يرحمنا وإياه ويغفر لنا له ويجمعنا به في الجنة، لقد كان شديد النقد لكل التيارات الإسلامية الموجودة على الساحة ولا يكاد يسلم من لسانه أحد.

فمن هاهنا بُنِي موقف أسامة حافظ السلبي من الإخوان، ولأنه الشيخ أسامة حافظ شخصية محورية وزعامة بين شباب الجامعة فقد استطاع أن يقلب موقف مجموع الشباب ضد الإخوان، وبغض النظر عن حادثة أسامة السيد في ذاتها، أو لنقل: إن حادثة أسامة السيد كانت هي التي فجرت المخزون الرابض في النفوس. كان الأمر أشبه بالحاجز النفسي لكنه ليس حاجزا من الهوى بل هو حاجز مبني أو ملتبس بالمؤاخذات الشرعية على الإخوان.

أتصور لو كانت جماعة الإخوان أكثر حصافة في هذه المرحلة لكانت قد تمكنت من احتوائنا، الواقع أيضا أنهم أخفقوا في هذا، إن أحد أهم عناصر فشل جماعة الإخوان في هذه المرحلة أنهم فشلوا في احتواء شباب الجامعات المصرية، كان لديهم اتفاق مع النظام في هذه المرحلة أن يعملوا على تهدئة الطلاب وأن يكبحوا اندفاعتهم في وجه السادات والنظام، ولذلك فقد عملوا على هذا إلا أنهم نفذوه بطريقة استفزازية وغير احترافية، فبدلا من أن يستوعب الحالة صار يصادمها، كذلك فإن أمن الدولة في تلك

المرحلة وحتى السياسيين بمن فيهم السادات لم يكونوا يدركون نفسية أبناء الحركة الإسلامية بصفة عامة، أو المخلصين منهم على وجه الخصوص، وفي تقديري أن المخلصين هم الذين يسهل احتواؤهم شرط ألا تصادمهم، فلو استمر السادات أكثر في مسرحية "العلم والإيمان" التي ابتدأها، واهتم بإتقان أدائها، لكان قد وجد له كثيرا من الشباب يحبونه ويدافعون عنه، ويقفون وراءه، ذلك أن الشباب يحتاج الإسلام.. يحتاج الدين، فهذا الشباب يرى زعيما يتكلم عن الدين والإسلام، لكن ينقصه أن يعمل كذا أو يعمل كذا.. لو أن السادات زاد في تمثيل هذا الدور لكان بإمكانه أن يحتوي هذه الطاقة الشبابية.

لكن اللغة الصدامية لا تصلح مع الشباب، فإذا أردت احتواء شاب لا يمكن أن يكون بداية هذا أن تصادمه، بل أن تعطيه قدره، وتثني عليه، فيكون هذا أول سبيل احتوائه.

أعود إلى خطبة تنحي أسامة السيد، تلك التي أدركتها من يوم المعسكر، وقد ذكرت أنها كانت عاطفية مؤثرة، وكان يلوم ويعاتب، ويقول بأن عزله هذا غير شرعي وغير صحيح، وأنه لم يزل الأمير الشرعي للجماعة الإسلامية في الجامعة، وهذا العزل وهذه الانتخابات كلها خطأ، وقال: وأنا أشكوكم إلى الله عز وجل، وسنلتقي بين يديه يوم القيامة... إلى آخر هذا الكلام.

ذهبت إليه زائرا في بيته، وسألته: ما الذي حصل يا شيخ أسامة؟ فشرع يقصّ علي قصة الخلاف من وجهة نظره، وأن المسألة قديمة في أصلها وليست حقيقتها ما يقال من أنه يعود إلى قيادة الإخوان، وأن شباب الجماعة الإسلامية لم يكونوا يرونه مؤهلا أصلا ليكون أميرهم منذ اليوم الأول، وأنه وباعتباره الأمير الذي أوكل إليه الأمر له الحق في تقدير ما الذي ينبغي أن يعود فيه للإخوان الكبار، وأن الخلاف معه على هذا ثم عزله بناء على ذلك أمر غير شرعي ولا يجوز.

قلت له: أنت تعرف يا أخ أسامة أن الإخوة الشباب الإسلامي في الجامعة ليسوا كلهم من الإخوان المسلمين، ومن ثم كان المفترض أن تتعامل مع الناس وفق هذا الاعتبار، فتفرق بين الذين لا ينتمون للإخوان والذين ينتمون إليهم، فإذا أردت أن تدخلني إلى الإخوان فاعرض عليّ الأمر بشكل طبيعي عادي: تعرفني بالإخوان وتعرض علي أن أعمل معهم جنديا بينهم، فإما أن أقبل وإما أن أرفض، فإذا قبلنا صرنا جميعا في الإخوان وإلا بقينا خارج الجماعة وروعي هذا في التعامل، لا أن يكون السبيل هو إدخالنا بنوع من المراوغة والخديعة ضمن الإخوان، وجعلنا تابعين لهم سواء رضينا عن هذا أو لم نرض!

على كل حال تركت المقابلة عندي انطباعا حسنا عن شخصه، وأشفقت عليه مما رأيت من حزنه وغضبه، وقلت له: سواء أكنت أمير الجماعة أو لم تكن فنحن وإياك ننصر الحق والدين والإسلام، وجماعة الإخوان جماعة مقدرة لها اعتبارها، وأنت أخونا وإن كنا أكبر منك سنا، ولك أن تطلب منا ما تشاء ونحن تحت أمرك، وأنا شخصيًّا سأتواصل معك كثيرا، ولا تؤاخذ إخوانك وسامحهم، فإنهم إذا أخطؤوا

فإنما ذلك عن اجتهاد، فلنتسامح ولنتغافر.. وظللت أقول كلاما من هذا القبيل.

كانت زيارتي هذه وكلامي له أمر صدق ليس من قبيل المجاملة أو المداهنة أو حتى المراوغة السياسية، أبدا، إنما يلازمني في هذا الجانب الأخلاقي والإنساني في مثل هذه الأمور، فلقد بكيت لدى سماعي خطبته وتأثرت حقا، ثم كنت في زيارته هذه متأثرا به حقا وشفوقا عليه ومحبا له. هذا وأنا في نفس الوقت من أنصار الشيخ أسامة حافظ، ومن أشد المؤيدين لموقف عزل أسامة السيد، ومن المقتنعين تماما بأن العمل الإسلامي في الجامعة يجب أن يدار من داخلها لا من خارجها، وأن الجامعة يجب أن تكون مستقلة، وكان أول من رفع شعار "الجامعة تدار من داخلها" هو أسامة حافظ.

∘∘ نستطيـع أن نـؤرخ بهـذا المعسكر الذي عزل فيه أسامة السيد لحالة الانشقاق والانفصال بين الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية، هنا ظهر بوضوح أن ثمة كيانيْن إسلامييْن من الشباب في الجامعة، والفارق بينهما واضح.

لم يُسَلِّم الإخوان بأمر عزل أسامة السيد وتنصيب ناجح إبراهيم أميرا، فاستمر أسامة السيد أميرا للشباب الإسلامي التابع للإخوان المسلمين بجامعة أسيوط، وصار ناجح إبراهيم أميرا لشباب الجماعة الإسلامية في أسيوط، غير أننا (شباب الجماعة الإسلامية) كنا الأكثر عددا وانتشارا وتأثيرا، فلم يكن الانشقاق معبرا عن نصفين أو فريقين متكافئين، بل لم تزل الجماعة الإسلامية هي صاحبة الصوت الإسلامي في الجامعة، والأمير هو ناجح إبراهيم قولا واحدا، لكن الذي صار معروفا أن شباب الجماعة الإسلامية شيء وشباب الإخوان شيء آخر، لا هؤلاء يتبعون لأولئك ولا أولئك يتبعون لهؤلاء.

مثلا، لم يكن للإخوان من أمـراء الكليات إلا أسامة السيد أمير كلية الطب، وأحمد كمال أمير كلية العلوم والبقية معنا، اثنان فقط في كل جامعة أسيوط! ولذلك منعناهم من الحديث أو إصدار بيانات باسم الجماعة الإسلامية، إذ كانت هذه البيانات تعبر عنا نحن.

وهذا التمايز لم يكن أيـضـا يعبر عـن كيانيْن لكل منهما فكر مخالف لـلآخـر، فـلـم نـكـن نحن في الجماعة الإسلامية نـحـمـل فـكـرا مـنـاقـضـا لـلإخـوان، إنما هو تمايز يعرف بـه أن "الجماعة الإسـلامـيـة" لـيـسـوا من الإخــــوان الـمـسـلـمـيـن.



حاولت فيما بعد القيام بخطوة توفق وتقرب بين الجانبين، واقترح أسامة حافظ أن ننظم معسكرا عاما نجمع فيه كل إخوة الجامعة من كان منهم من الإخوان أو من كان منهم خارج الإخوان، كأنه معسكر تصالحي، ثم اختاروني لمسؤولية هذا المعسكر على اعتباري الشخصية التصالحية التي تربط بين الضفتين!



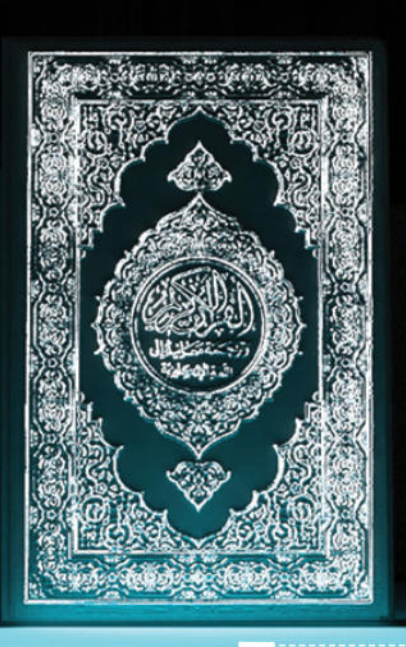
حضر الشباب من الكيانين: الإخوان والجماعة الإسلامية، وكان المعسكر سبع مجموعات، وحضره أسامة السيد ومعه أخ آخر اسمه أحمد زياد، وتولى كل منهما مسؤولية مجموعة، وكان مجلس شورى المعسكر يتكون من أمراء المجموعات السبعة، وبهذا كان أسامة السيد وأحمد زياد ضمن هذا المجلس، وذكرت لهم في اجتماع مجلس الشورى أنه يجب أن نعمل في الجامعة كيد واحدة، وألا تفرق بيننا الانتماءات، هذا إخوان وهذا جماعة إسلامية، واخترنا موضوعات المعسكر للتأليف بين الكيانيْن: الإخوان والجماعة الإسلامية، كما اخترناها بحيث نبتعد تماما عن ذكر الخلاف أو ذكر الجماعتين لا بخير ولا بشر، فنقتصر على الموضوعات الشرعية والمعاني الروحية والأخلاقية، وخططنا ليأتي نصف الدعاة الذين سيحاضرون في المعسكر من الإخوان ونصفهم الآخر من خارج الإخوان.

لكن ومع ذلك فقد وقع المحظور..

وهذا ما نتناوله إن شاء الله في الحلقة القادمة.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)





مصير المعتقلين بين اليائسين والحالمين

د. عطية عدلان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

هل يمكن للأحرار الثوار أن يفرطوا في إخوانهم المعتقلين؟ أو يسلموهم لمصير كمصير من سبقوهم؛ فيمكثوا في السجون عقودًا؟ سؤال حرج يتردد صداه في أوساط المعارضين بالخارج، ويتفاوت رد الفعل تجاهه بحسب درجة البعد عن القضية والتغاضي عنها، والواقع أن الجميع - لأسباب مختلفة - ابتعدوا وتغاضوا وغضوا الطرف كذلك، وجميع ما يراه المتابعون في الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي لا يعدو أن يكون (فضفضة)، لكن درجة هذا البعد تتفاوت فيتفاوت معها رد الفعل تجاه قضية المعتقلين، التي تحولت إلى مطالب صريحة من الكثيرين منهم.

ودعونا نحسن الظن ببعض القيادات التي صرحت بأنه لم يجبر أحد من القيادات واحدًا من الأفراد المعتقلين على المضي في هذا الطريق، ونحاول أن نحمله على معنى: أن شباب الإخوان اختاروا هذا الطريق لأنفسهم؛ ومن ثم فهم أهل لتحمل تبعاته؛ لكن حتى مع هذا التأويل الذي يراه البعض بعيدًا هو خطاب استهلاكي ينم عن إفلاس مخيف، فهو يطالب من يصرخ قائلاً: (لم أعد أتحمل) بأن يتحمل! وليس لهذا الخطاب مثيل في الهزال والهزل معًا.

ولكي لا يكون الكلام مجرد وصف للحال التي هي معلومة للجميع بالضرورة، أحب أن أعرض الخيارات التي أرى أن الحلول تنحصر فيها، وهي مجرد اجتهادات ليس إلا.



الخيــار (الذي عليه الناس عندنا!) هو (الصمود!) مع الالتزام بالسلمية والبراءة من (العنف!) والحفاظ على (مؤسسات الدولة!) حتى يأتي الفرج، إما بأسباب داخلية أو خارجية أو حتى كونية؛ إذ إنها مدلهمة ليس لها من دون الله كاشفة، ونحن بذلك على الطريق إلى إحدى الحسنيين، ولا للتنازل! ولا للتصالح مع السيسي تحديدًا ذلك المنقلب الصهيوني العميل (وكأن باقي رموز النظام مغلوب على أمرهم أبرياء من العمالة والنذالة!!)، وأنظار هؤلاء تمتد بالرجاء إلى (شرفاء الجيش!) وإلى مؤسسات النظام الدولي، وإن كانت مع ذلك تتجه بالدعاء إلى الله تعالى.

الخيار الثاني: وهو خيار فريق من الشباب الذين طغت عليهم مشاعر التعاطف مع المعتقلين فقصروا أنظارهم على أقفال الزنازين، دون النظر إلى مفاتيح هذه الأقفال ولا إلى من يحملها ومن يضع لها شفرتها؛ فراحوا يصرخون بصدق ممزوج بالسذاجة: اخرجوا المعتقلين مهما كان الثمن، افعلوا اي شيء تنازلوا عن كل شيء!! وليتهم يدرون أن هؤلاء الذين يصيحون فيهم ليس بأيديهم ما يتنازلون عنه ولا في قدرتهم فعل شيء؛ إن التنازل يكون عن مملوك مقدور عليه لا عن مفترض أو متخيل، وأنه لا يتنازل إلا من يقدر أن يقول لن أتنازل.

هذا من جانب، ومن جانب آخر توجد معضلة أساسية علمت بالتجربة التي يدركها الكافة وهي طريقة إخراج هؤلاء المعتقلين؛ فالظن الغالب أن النظام بعد أن يبالغ في إذلالك وفي محو كل ما تبقى من انتمائك لفكرتك؛ سوف يخرج من ليس لهم علاقة بالقضية إلا كعلاقة المار بجوار معركة فأصابه سهم غرب، وذلك بعد إعلانه توبة لو أعلنها لرب العالمين لأدخلته جنة الفردوس بغير حساب ولا سابقة عذاب، أما أصحاب الفكر وقادة العمل وخلاصة شباب الأمة فلن يخرجوا إلا بعد عمل مراجعات عامة، تذبح من خلالها الجماعة جميع ما قامت عليه منذ نشأتها من الوريد إلى الوريد. وعندئذ يكون إعلانها حل الجماعة أولى وأبقى.

الخيار الثالث: وهو الذي يتبناه المغضوب عليهم المستثنون من كل عمل ولو كانوا من أهل الاختصاص، والمترفعون عن كل ما يمارس من خلاله صناعة الأفكار الخادعة.



هؤلاء (الشرذمة القليلون!) المبعدون يرون الآتي:

أولًا: لا يمكن فصل ملف المعتقلين عن باقي الملفات، والتي منها حرية الشعب الذي قام بثورة فضيعها من ضيعها، فهذا الفصل لا وجود له إلا في الخيال الحالم.

ثانيًا: لا يمكن إخراج المعتقلين ولا حتى تخفيف الضغط عنهم إلا بالتفاوض الحقيقي الجاد، والتفاوض هذا لا يكون بين (مائة بالمائة) و(صفر بالمائة)، ولا يكون إلا بين أطراف تملك بأيديها أدوات ضغط وهذا كله لا يكون إلا بحراك خارج الصندوق، حراك يوجع النظام ويهدد استقراره، ويهدد كذلك مصالح من يملكون توجيهه

إنهــم (أعني هؤلاء المنبوذين المبعدين) يقولون لابد من توحد القيادات أولًا، ثم وضع رؤية جديدة تبنى على فكر مستمد من ثقافة أمتنا ومن التجارب الإنسانية للثورات عبر التاريخ، ثم تنطلق لتجيش طاقات الأمة في اتجاه التغيير المنشود، عندها سوف يتحرك النظام لطلب الجلوس والتفاوض؛ وساعتها يأتي النقاش عن المعتقلين، ويكون تداول الرأي بين اتجاهين: نكمل أم نكتفي مرحليًا بهذا؟ ويكون لكل حدث حديث.

ويواصل المنبوذون المبعدون طرحهم قائلين:

إن طاقات الأمة ليست قليلة ولا ضئيلة، ولكنها مبعثرة، وإن (القادة!) هم من بيدهم جمع الكلمة ولم الشمل؛ فإن فعلوا فقد اقتربت النهاية ودنت الغاية وتحقق النصر وشيكًا.

ويزعمون أن هناك بديل لهذا الطريق، ولكنه بعيد المدى بطيء الخطى، وإن كان أكيد الجنى. وهو أن ينبري لهذه الرؤية المخلصون ويدعوا الكبار يتخبطون، **فهل أنت مثلي تجنح إلى رؤية هؤلاء المنبوذين المبعدين وتميل إليها؟**

ذكرى حريق الأقصى .. الأحداث والواجبات

د. وصفي عاشور أبوزيد



تمر علينا الذكرى الخمسون لحريق المسجد الأقصى الذي وقع في ٢١ أغسطس ١٩٦٩م الموافق 7 جمادى الآخرة ١٣٨٩ هـ، ووقع الحريق في المسجد القبلي المتضمن مسجد الجمعة والمسجد الجنوبي بالمسجد الأقصى المبارك، والتهمت الحرائق ١٥٠٠ متر مربع، وهو ما يمثل أكثر من ثلث مساحة المسجد القبلي البالغة ٤٤٠٠ متر مربع، وشملت الحرائق: منبر نور الدين زنكي، ومسجد عمر، ومحراب زكريا، والمحراب الرئيسي، والقبة الخشبية الداخلية والزخرفة الجصية الملون عليها، والجدار الجنوبي والرخام الداخلي كاملا، وخمسين نافذة من الجبس والزجاج الملون، وعمودين رئيسين مع القوس الحامل لقبة الجامع القبلي، والسجاد المفروش على أرضية الجامع.

وقد قام بهذا الحريق أحد المجرمين يدعى دنيس مايكل روهان، وهو استرالي الجنسية، نصراني الديانة بروتستانتي المذهب صهيوني الاعتقاد؛ حيث تعاون مع الكيان الصهيوني على إحراق المسجد القبلي من خلال استخدام مادة لزجة سريعة الاشتعال، وقام برشها على المنبر كما قام آخرون بإشعال النيران في الجهة الجنوبية الغربية من الجامع القبلي.

أدلة تواطؤ الكيان الصهيوني وتورطه في الحريق

وهناك أدلة مادية على تواطؤ الكيان الصهيوني في هذا الحريق، أذكر من ذلك ما أورده د. جمال عبد السلام، رئيس لجنة القدس سابقا باتحاد الأطباء العرب، في رسالة له نشرها على صفحته:

أولا: وصول سيارات الإطفاء متأخرة دون استخدام نقطة ماء واحدة لإطفاء الأماكن المحروقة.

ثانيا: قطع المياه عن منطقة المسجد الأقصى بالكامل.

ثالثا: إذاعة نبأ الحريق بعد حوالي ساعة وثلث من نشوبه.

رابعا: عرقلة تحرك الجماهير المسلمة نحو المسجد من قوات الاحتلال.

خامسا: حصار المدينة لمنع تدفق أهالي الضفة الغربية.

سادسا: إطلاق الأعيرة النارية في الهواء لتفريق الجماهير.

سابعا: تبريء المجرم مايكل روهان من الجريمة والزعم بأنه مصاب بمرض عقلي ليخرج من السجن ويرحل إلى بلده استراليا بعد ذلك.

ردود الفعل

وقد انقسمت ردود الأفعال في الأمة إلى نوعين: ردود فعل شعبية شملت غضبا عارما في الأمة ومظاهرات واحتجاجات كبيرة، والإعلان عن الإضراب العام يوم السبت **٢٣** أغسطس **١٩٦٩**م في مختلف الدول، وردود فعل رسمية تمثلت في مناشدة الملك فيصل، رحمه الله، المسلمين في العالم أن يهبوا لنصرة الأقصى وتحرير المقدسات، والدعوة لعقد مؤتمر قمة إسلامي وعقد بالفعل في الفترة **٢٢-٢٤** سبتمبر **١٩٦٩**م، واستنكر المؤتمر الجريمة، وقرر إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي، وكانت نتيجته مخيبة للآمال، وأطلق على المنظمة فيما بعد: منظمة التعاون الإسلامي.



واجباتنا نحو الأقصى والقدس

بعد التوصيف والتحليل لابد من بيان واجباتنا العملية نحو قضيتنا الأولى والكبرى، وهذه الواجبات تتمثل في:

أولا: الواجب العلمي والمعرفي، فلن يتحرر المكان إلا إذا تحرر الإنسان، ولن يتحرر الإنسان إلا إذا تحرر عقله، ويكون ذلك بالعلم والمعرفة المقدسية، يجب أن نعرف تاريخ فلسطين، وتاريخ القدس، وتاريخ المسجد الأقصى، والمراحل التاريخية التي مر بها، والدول التي تعاقبت عليه، والاحتلالات التي احتلته، وقصة كل تحرير من هذه الاحتلالات.

ثانيا: واجب الجهاد ضد المحتل، وهذا يقع على أهل فلسطين ومن يلونهم ممن يتحقق بهم حد الكفاية الذي يحقق دحر العدو وتحرير المقدسات والأرض وفك الأسرى، وسلوك كل سبيل مقاوم مشروع في سبيل ذلك من الواجبات.

ثالثا: توريث هذا التاريخ لأبنائنا والأجيال القادمة ومن حولنا من الأهل واللجيران والأصدقاء.

رابعا: دور العلماء والدعاة والخطباء في غاية الأهمية، فالمساجد يجب أن تقوم بدورها فتخصص الخطبة للحديث عن هذه الجريمة، وتذكير الأمة بواجباتها نحو مقدساتها وأقصاها.

خامسا: واجب تقديم الدعم للمرابطين والمرابطات، فهناك أبطال يرابطون في المسجد الأقصى يخصصون له أوقاتا من عمرهم يحمونه من التقسيمات الزمانية والمكانية والتهويد والاعتداءات التي يتعرض لها المسجد الأقصى بشكل شبه يومي، هذا الدعم يجب أن يكون شاملا: ماليا ونفسيا ووجدانيا ..الخ.

سادسا: تقديم العون والمؤازرة لكل المقدسيين خاصة والفلسطينيين عامة.

سابعا: مقاطعة العدو الصهويني مقاطعة شاملة: سياسيا واقتصاديا ودبلوماسيا وتجاريا وعلميا وأكاديميا... الخ.

ثامنـا: العمل على توحيد الكيانات الكبرى والكبيرة في الأمة، التي لوحدتها أثر وأهمية في تحقيق ذلك كله.

تاسعا: التبشير بـأن المعركة قادمة وقريبة، وإعداد العدة لذلك: العدة الإيمانية، والعدة الاجتماعية، والعدة العسكرية، وغيرها.

" وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا "



الفراعنة الصغار

د. مجدي شلش

أستاذ أصول الفقه المساعد بجامعة الأزهر

سمة من سمات الطبيعة البشرية وإحدى غرائزها الكبرى، ليست متلازمة مع الكفر أو الفسوق أو العصيان، إنما قد تجدها أيضًا في أشد الناس حماسة وعاطفة نحو حب الذات وتأليه الأنا باسم الشرائع والأوطان.

المتفق عليه عند الحكماء بأن لفظ الفرعون صفة وليس علمًا على شخص معين، هي مجموعة من السمات والصفات إذا تحققت في شخص كان فرعونًا، نعم تكبر وتصغر الفرعونية في الإنسان حسب استعداداته وميوله ورغباته.

هناك الفراعين الكبار الذين نازعوا الله في أسمائه وصفاته حتى قال كبير منهم "أنا أحي وأميت"، وقال الآخر: "أنا ربكم الأعلى" لكن السمة الكبرى والعظمى التي تتجسد في الكبار من الفراعين والصغار هي: "مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ".

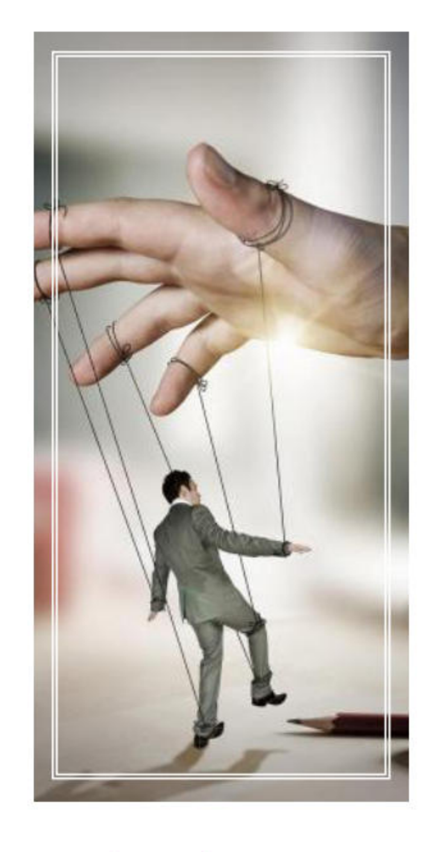
الفراعنة الكبار والصغار يعدون كل مصلح فاسدًا، وكل مرشد ضالًا، وكل صيحة عليهم، من خرج من تحت العباءة أو السيطرة مصيره معلوم ومعروف، ومن تجرأ بالنصح فهو مختل مجنون، ومن رفع رأسه على أسياده فالحبل والسكين موجودان.



لا أبالي بالفراعنة الكبار الذين ملؤا الدنيا صياحًا وضجيجًا وقتلًا وإرهابًا، جامعهم الكفر والضلال، ومنهجهم الظلم والطغيان، على الله تفرعنوا، وعلى الرسل تجبروا، وعلى البشر تألهوا، وفي الكون أفسدوا، والنهاية رمم وقمامات في مزابل التاريخ رموا.

المشكلة الأكثر انتشارا الفراعين الصغار الذين اتخذوا من الدين ستارا للاستبداد الفكري والإرهاب العقلي بحجة امتلاك الحقيقة المطلقة أو معرفة المصلحة والمنفعة أو أنه الأوحد في العلم الفلاني، رأيه من المقدسات، وفكره ينتج اللوذعيات، وسلوكه كله كرامات، لحمه مسموم، وجسمه طاهر مطهر غير مكروه.

صدق من قال في نفس كل واحد منا فرعون صغير، يخنس بالتربية والتهذيب والشورى واحترام الآخر، وينمو ويشتد ويكبر بكبر الأنا وتأليه الذات بمنصب رفيع أو مال وفير، أو جمال أو حسب منقطع النظير، فما بالنا لو اجتمع فيه الجميع؟



هذا هو الإنسان معقد التركيب بين الانسحاق للمستبدين الطغاة إن كان فارغًا من التميز الذاتي، أو مستبدًا متجبرًا عند الاستغناء بالرأي أو الرخاء بالشهرة والمال والجاه، طبيعية خاصة تختلف عن الجن والملائكة وسائر المخلوقات، وصدق الله في قوله: "كلا إن الإنسان ليطغي أن رآه استغنى".

الفرعون الصغير تجده مستأسدًا على مَن تحته مِن ولد أو زوج أو عامل أو جار أو تلميذ أو أب أو أم أو قريب، وتراه ذليلًا منكسرًا أمام أسياده الذين يلقمونه اللقمة أو بعض الشهرة أو مجرد التمحل بالجلوس معهم، ينتفخ على إخوانه ويشتد، ويصغر أمام أعدائه وينخفض، عكس الآية فعامل الألداء بالرحمة واللين والشفقة، وعامل الأقربين بالشدة والعنف والغلظة.

أعفن الفراعين الصغار من برر للكبار خطأهم، وعظم للسفهاء قولهم، ومدح الجبناء بالشجاعة، واللصوص بالشفافية والنزاهة، والكذبة بالصدق، متمنيًا أنه في يوم من الأيام سيحل محلهم، ويجلس في محلتهم، ويرث مكانتهم، يمهد بالظلم لإخوانه وأحبابه سبيل المجرمين، ويعصف بكل القيم والمبادىء من أجل أشخاص خالفوا العرف والدين.

أتعبتنا النفس البشرية بسماتها المتناقضة وصفاتها المتضادة، الحلال يصبح حرامًا، والصواب يكون خطأ، والمصلحة اليوم مفسدة غدًا، والعدو أصبح صديقًا، والصديق عدوًا، شر الناس من باع دينه لدنيا غيره.

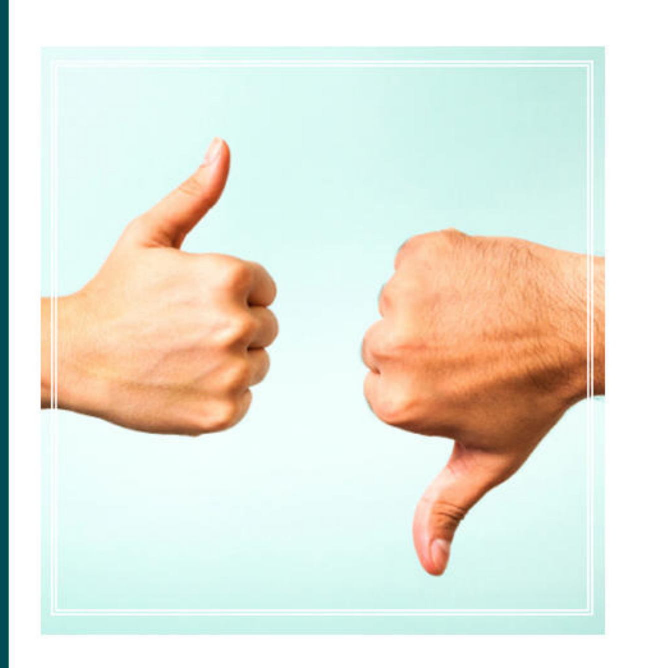
الفرعون الصغير يجعل من الهر نمرًا ومن الكلب أسدًا ومن الحقير زعيمًا مبجلًا، الفرعون الصغير يختذل الدنيا كلها في جناب كبيره، هو الدولة والدولة هو، هو الأمة والأمة هو، هو الجماعة والجماعة هو، تلبيس باسم الشعب لمن ملك الدولة، وباسم الصف لمن ملك الجماعة أو الأمة.



الشناعة الكبرى من الفراعنة الصغار اتخاذ آيات الله هزوًا لتبرير المصالح والمفاسد، فيجعلوا من البشر الذين يصيبون ويخطئون باسم الدين والحب والثقة والطاعة والسبق آلهة وأربابًا، من اعترض انطرد والباب يفوت الجمل، وكأن الدولة أو الكيان عزبة ورثوها عن الآباء والأمهات، هى في الحقيقة ميراث الكل وللكل بحكم الشراكة في البناء والتضحية بالدماء، والإيمان بالفكرة والدعوة والحركة.

غافل عن الحقيقة من مزج بين الأشخاص والمؤسسات وجعلها شيئًا واحدًا، يعد الفرعون الصغير النقد أو النصيحة الموجهة للشخص تقدح في ذات المؤسسة أو الكيان، الحي لا تؤمن عليه الفتنة، وكم من أشخاص عبروا نحو الهاوية بسبب الفراعين الصغار الذين زينوا لهم الباطل حقًا والإيمان كفرًا والمعصية ألذ طاعة وذكرًا.

النقد بأدبياته الشرعية والمنطقية عند أولى الألباب ليس قدحًا، والاستفسار بقيمه العلمية ليس ذمًا، وقديمًا وقف سلمان الفارسي رضي الله عنه أمام الفاروق في أمر لباس وقال: لا سمع ولا طاعة، فما بالنا في دولة تباع أو كيان يجمد أو تاريخ يحطم وقيم تباد.



الفراعنة الصغار كثير منهم موجودون في السياسة والإعلام والدين، ينشأ صغيرًا ثم ينمو ويكبر في الزريبة الكبيرة، الأول يبدأ ناشطًا سياسيًا وينتهي منافقًا عليمًا، يعرف متى يتكلم ومتى يسكت، راقص على كل الحبال والمصالح، عبد لمن بيده الكعكة أو التورتة، والثاني متلون بلون الحرباء اليوم اللون أصفر وغدًا أحمر وبعد غد أسود، والأخير أسوأهم وأرداهم، الأصل أن مقامه مقام الأنبياء إذ به وقد ناصر السفهاء، وخلط الأوراق، وتلاعب بالنصوص، "واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون" صدق من قال فيهم: عمم على رمم.

”النموذج الأمثل والأسوة الحسنة في التفريق بين الشخص والقيمة، والفرد والمؤسسة، والسلوك والحقيقة، هو المصطفى صلى الله عليه وسلم يقتد من نفسه لمجرد الإحساس بالخطأ، يطلب منه سواد رضي الله عنه القصاص لأنه أوجعه في بطنه، فيكشف له بطنه ويقول: استقد يا سواد، وقبل موته يخطب وينادي ويقول: من كنت جلدت له ظهرًا فهذا ظهري فليقتد منه، ومن كنت أخذت منه مالًا فهذا مالي فليأخذ منه.“

إنه الفصل التام بين النبوة كوحي وبين سلوك الإنسان الذي قد يعتريه شيء من النسيان أو السهو أو عدم تقدير الصواب نظرًا لقلة الخبرة في المجال، أو الحرص على من هم في ظنه أقرب إلى القبول بالامتثال، نفسه صلى الله عليه وسلم تشبعت بالوحي جلالًا وتعظيمًا فخاطب أبا ذر رضي الله عنه وقال له: "إنك امرؤ فيك جاهلية" لما وقع في أخيه.

لا مجاملة على حساب القيمة للأشخاص وإن سبقوا، ولا محسوبية لقادة وإن تقدموا وضحوا، أفضل منهم رأيناه وقد ربط على بطنه الحجر والحجرين، وخرج إلى الطل بعد جلبة وقال لن تراعوا، ووقف في مقدمة الصفوف وهتف أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، تعلم منه الصديق والفاروق، فانتصروا في ميدان المعارك لما هذبوا وانتصروا في ميدان النفوس.

الفراعنة الصغار محل الدهس في الغالب من الفراعنة الكبار، يعلمون حيلهم ونفاقهم وتزلفهم لهم، يضربونهم بأفحش الألفاظ ويكسرون أنفهم ببعض الملذات والمتاع، ويمرغون وجوههم في أنتن البرك والمستنقعات، إنها الدورات التدريبية لهم حتى يصيروا كبارا في الفرعنة على حق، ويكونوا أهلًا لميراث الغل والحقد، هكذا تنبت شجرة الفرعنة تبدو صغيرة في البداية ثم تنمو شجرة خبيثة في النهاية.



حسن حبنكة الميداني

د: محمد موسى الشريف *

في العصر الحديث عشرات الآلاف من العلماء والمشايخ وطلبة العلم، وبعض هؤلاء قد بلغ من العلم مبلغًا عظيمًا، لكن قليلًا من هؤلاء من كانت له عند قومه منـزلة وتأثيـر، وقليل من هؤلاء مَن كان له في بلده عمل جليل، ومن هؤلاء القلة كان الشيخ حسن حبنكة الميداني، يرحمه الله تعالى.

ولد الشيخ حسن في حي الميدان في دمشق سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، وهو حي الشجعان وأهل المروءة والفتوّة وأولي القوة، وأبوه هو مرزوق بن عرابي بن غنيم من عرب بني خالد من بادية حماة، أما حَبَنّكة والميداني فهما لقبان له عرفت عائلته باللقب الأول واشتهر هو باللقب الآخر، وكان أبوه مرزوق من أهل الصلاح والاستقامة، صاحب محل لبيع المواد الغذائية، وأمه خديجة من أصول مصرية أتت لأبيه بأربعة أبناء وبنتين، أكبرهم هو الشيخ حسن يرحمه الله، وقد توفيت - يرحمها الله تعالى - أثناء عودتها من الحج مع ابنها الشيخ حسن.

نشأة الشيخ حسن حبنكة

نشأ الشيخ حسن في حي الميدان، وتعلم في الكتّاب القراءة والكتابة، وقراءة القرآن العظيم، ثم درس في مدرسة الشيخ شريف اليعقوبي الابتدائية، ثم قرأ بعض العلوم على الشيخ طالب هيكل، ثم على الشيخ عبد القادر الأشهب، ثم على الشيخ محمود العطار والشيخ أمين سويد، وقرأ العلوم العقلية على عالم بخاري وآخر كردي، ثم قرأ على الشيخ المحدث بدر الدين الحسني، وتفقه بالمذهب الحنفي ثم درس المذهب الشافعي والتـزمه علمًا وتعليمًا. والتحق الشيخ حسن بالشيخ علي الدقر،



وصار من جملة تلاميذه والسائرين على منهجه، وتولى إدارة مدرستين تابعتين للشيخ علي، وأخلص له في همة منقطعة النظير، وكان هو المقدم بين أصحاب الشيخ علمًا وتعليمًا وإدارة، وقد جلب له هذا الحسد والكيد فوشى به عند الشيخ بعض أتباعه بأن الشيخ حسن يريد الزعامة وينافس الشيخ علي، واشتد الأمر فما كان من الشيخ حسن إلا أن اعتـزل مؤسسة الشيخ على إيثارًا للسلامة، لكن الشيخ حسن ظل متصلا به ومتأدبًا معه حتى مات الشيخ علي يرحمه الله. ثم إن الشيخ يرحمه الله تعالى أسس جمعية خاصة به سماها «جمعية التوجيه الإسلامي» سنة ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م ، وكانت الجمعية تستقبل الطلاب من كل مكان، وتُعنى بهم وتدرسهم مجانًا، بل إنها كانت تهيئ السكن لمن لا سكن له، وبفضل الله استطاعت أن تنشئ مساجد كثيرة في دمشق وتُعنى بالقديم منها وأنشأت مدارس ومعاهد للبنين والبنات، ودارًا للقرآن في جامع منجك - الذي كان المقر الرئيس للشيخ حسن طوال حياته - وظلت الجمعية معطاءة مدرارة إلى سنة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧م حيث أُلغيت بمراسيم جمهورية وضمت مبانيها إلى وزارة الأوقاف.

صفات الشيخ حسن حبنكة

كان للشيخ يرحمه الله صفات جليلة من أعظمها:

الهمة العالية : فقد تعلق قلبه بالعلم منذ صغره حتى آخر أيامه، وكانت له دروس عديدة تبدأ من قبل صلاة الفجر!! وتستمر عامة النهار وطرفًا من الليل، وكان يلـزم طلابه بالهمـة العالية؛ فقد تعلّم على يديه طالب يسمى إسماعيل الصباغ، وكان يُلزمـه أن يأتيه في وقت محدد في السحر للدراسة، فإذا تأخر بضع دقائق لم يأذن له، وكان هذا الطالب إسماعيل يسكن خارج حي الميدان، فكان يمشي في ظلمة الليل من بيته إلى بيت شيخه ليصل إليه قبل الفجر بساعة، فما أحسن الهمـة العاليـة في الشخص فهي الموصلة له إلى أعلى الدرجات. ومن دلائل همـة الشيخ حسن أنه كان له شيخ اسمه محمود العطار وهو فقيه حنفي متمكن من الفقه، فكان يجلس بين يديه على ركبتيه عدة ساعات كل يوم، وكان للشيخ محمود رغبة في الخروج إلى البساتين والقرى وحُبب إليه ذلك، فكان الشيخ حسن يتبعه من بستان إلى بستان، ومن قرية إلى قرية رغبة في طلب العلم.



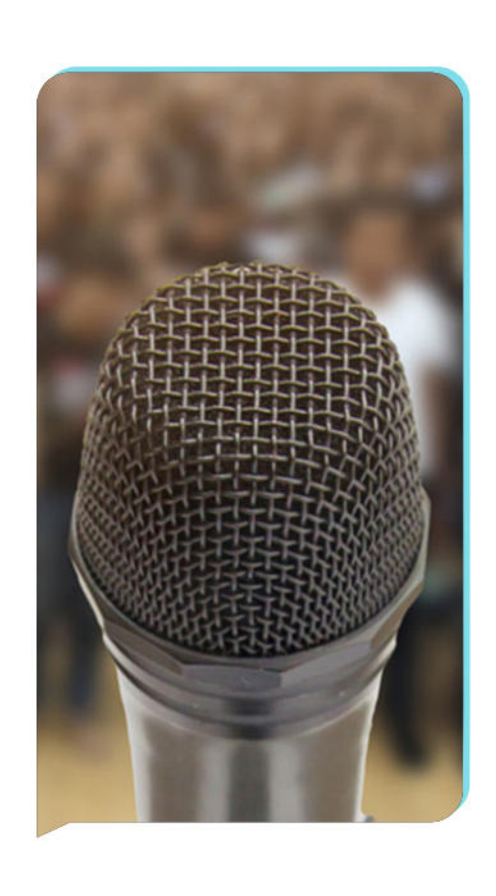
وقد ظهرت همة الشيخ العالية في تصدره للتدريس وإفادة الجمهور؛ فقد كان له درس عام جامع للعامة بعد الفجر إلى الضحى، ثم يفطر مع الطلاب، ثم يدرس كبار الطلاب إلى قُبيل صلاة الظهر، ثم إنه يفرغ لنفسه من الظهر إلى العصر، وبعد العصر بقليل كان له درس إلى أذان المغرب مع كبار طلابه، ثم بعد المغرب يحين وقت

الدرس العام الجامع للعامة، وبعد العشاء درس للطلاب الذين لا تسعفهم أحوالهم للدراسة النهارية فيأتون إليه ليلا، ثم بعد فراغ الدرس يعود إلى بيته، لكنه كان كثيرًا ما يحب البقاء في الجامع والبيات فيه ليوقظ طلابه لصلاة الفجر جماعة، ويقوم سحرًا للصلاة والدعاء والتسبيح، وربما طالع بعض كتب العلم في ذلك الوقت، هذا عدا قضايا المسلمين العامة التي كانت تؤرقه وتأتي على الوقت الذي بقي له من يومه وليلته. وكان له طريقة حسنة في التعليم؛ وهي إيقاف الطلاب على مبادئ العلم ومفاتيحه، ويدربهم على استخراج المسائل من مظانها، ومِن ثَمّ يعقد حلقات للمناقشة وهذه طريقة فريدة. وكان يدفع بطلابه إلى التدريس والخطابة وإلقاء المواعظ في المساجد، خاصة في رمضان للتدرب على مواجهة الجمهور وإفادتهم. وكان يدرب طلابه على السباحة والفروسية وركوب الخيل، ويسير بهم في القرى والبساتين لتدريبهم على القوة واحتمال المشاق، وربما بات معهم في المساجد أو البيوت التي يستأجرها لهذا الغرض، وربما باتوا في أرض أو سفح جبل، وفي تلك الرحلات يفيدون أهل القرى بالدروس والمواعظ.

٢ **الحكمة:** وقد قال تعالى: (وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [البقرة:٢٦٩]، وقد تجلت حكمته في مداراته للأنظمة الحاكمة في بلاد الشام آنذاك فيما يعود على البلاد والعباد بالخير، وقد ظهرت حكمته في مواقف، منها يوم اشتدت السلطات البعثية الحاكمة في الشام على الشعب وضيقت عليه في أمور دينه، فأرادت مجموعات من الشباب أن تعتصم بالجامع الأموي، ووافقهم بعض العلماء على ذلك، واجتمعوا في المسجد وتوالت الاتصالات من الجامع تستحث الشيخ أن يأتي هو وطلبته، وكان المستحث أحد المشايخ المتعاونين مع الدولة، وجاء مجموعة من المشايخ إلى الشيخ حسن في مكانه في جامع مَنْجك، وكان منهم د. محمد أمين المصري ورجحوا المشاركة واستحثوه ليذهب، فقال لهم: هل أنتم الذين دبرتم هذا الأمر وأعددتم له عدته؟ هل أنتم الذين بعثتم طلابكم ومريديكم للدعوة إليه؟ قالوا: لا. فقال لهم: وما يدريكم أنه فخ صنع لكم حتى تُقتلوا أو تأخذكم الدولة بجرم القيام بثورة مسلحة. أنتم بين خيارين:

إما أن أحبسكم عندي هنا في البيت، وإما أن تنصرفوا إلى بيوتكم، ولا أسمح لأحد منكم بالمشاركة في هذا الأمر، إن المسلمين بحاجة لكم فلا تمكنوا أعداءكم منكم. فانصرف العلماء إلى بيوتهم مستجيبين لأمر الشيخ، ووقع ما تفرس فيه الشيخ، فقد هجمت الدولة على الجامع، وكسرت بابه بدبابة، وقتلت خلقًا كثيرًا ممن وجدته فيه في مجزرة شنيعة، واستاقت الباقي لتعذبهم عذابًا مروعًا ثم أعدمت جماعة منهم، وكان يراد استئصال المشايخ وطلبة العلم كلهم لكن الله نجّاهم بحكمة الشيخ. ومن الأمثلة على حكمته رفضه الدعوات المتكررة من سفارة الاتحاد السوفييتي في بيروت لحضور مؤتمر عقدوه للسلام، مع أنهم وعدوه بأنهم سيسمحون له بالحديث كما يشاء، لكنه رفض لأنه يعلم أنهم لن ينشروا له شيئًا، وفي الوقت نفسه سيخدعون كثيرًا من الناس بحضوره.

٣ **التصدر للناس:** كان الشيخ زعيمًا للشعب، متصدرًا لحل مشكلاتهم، مصلحًا بينهم، مدافعًا عن مظلومهم، مجيبًا لمطالبهم، مغيثًا لملهوفهم، مجيبًا لدعوة من دعاه من خواص إخوانه وطلابه، ثم إنه كان الموصل لمطالب الشعب إلى الحاكم والوزير والمسئول، على أنه كان يخالطهم بعزة العالم المسلم، وكان عدد من رؤساء الجمهورية يزورونه في مسجده وفي غرفته في المسجد ويصلون عنده الجمعة؛ فلم يُثن عليهم قط، وإنما كان يصدعهم بالحق وينصحهم ويوجههم، وكذلك الحال إذا اجتمع بهم في حفل عام أو اجتماع فإنه يصدع بالحق في وجوههم ويريهم عزة العلماء.



ومن مواقفه مع حكام المسلمين، أنه كان في وفد من علماء الشام لتهنئة الملك سعود - يرحمه الله تعالى - بالحكم، فنصح الملك وحثه على الاستمساك بالشرع والعمل به، وحثه على إعادة إعمار سكة حديد الحجاز، وبعد ذلك أهدي له وللعلماء ساعات وعطايا مالية فقبلوا الساعات وردوا المال. وكان له فضل على العلماء والدعاة، فقد توسط لدى حافظ الأسد لإطلاق الشيخ سعيد حوى ففعل، ولإطلاق الشيخ محمد علي مشعل فاستجاب لوساطته، وكان الحمى الحقيقي بعد الله تعالى للمشايخ والعلماء في بلاد الشام. وقد كان الشيخ في زمانه يُعد العالم الأول في توجيه الشعب، ولذلك أحبه الناس والتفوا حوله، لكن مع ذلك لم يكن ينخدع باجتماع عشرات الآلاف من الناس حوله؛ لأنه يعلم أنهم إذا حزبه شيء فلن ينصروه، وهذه عادة الجماهير في كل زمان ومكان، ولذلك كانت له مقولة حكيمة قالها لتلميذه الشيخ حسين خطاب لما جاءه عشرات الآلاف من الناس لتهنئته بالقدوم من الحج، فقد قال له: يا شيخ حسين، لا تغتر بكل هذه الجماهير، فهي كرغوة الصابون، وصدق الشيخ والله.

٤ **القـوة والشجاعـة:** لقد كان من أبرز صفات الشيخ القوة والشجاعة والإقدام، وعلى ذلك أمثلـة عدة، فمنها: لما أراد الاستخراب الفرنسي في سورية سَنّ قانون الطوائف، وفيه تجويز زواج المسلمات باليهـود والنصارى وغيرهم من طوائف بلاد الشام؛ قام الشيخ في وجه الاحتلال الفرنسي وبقوة، ونظم مظاهرة كبيرة خرجت من حي الميدان تريد مبنى رئاسة الوزراء، وضجت الحكومة بها وخافت من عواقبها وطلبت من الشيخ حسن إرجاع المتظاهرين ليتسنى للمندوب السامي الفرنسي الاتصال بحكومة بلاده واستشارتها في إلغاء القانون فوافق الشيخ، ثم أُلغي القانون بعد ذلك بفضل الله تعالى ثم بفضل قوة الشيخ وإقدامه، ولقد كان شعار المظاهرة: "ديننا لا نبغي به بديلا، وليسقط قانون الطوائف".

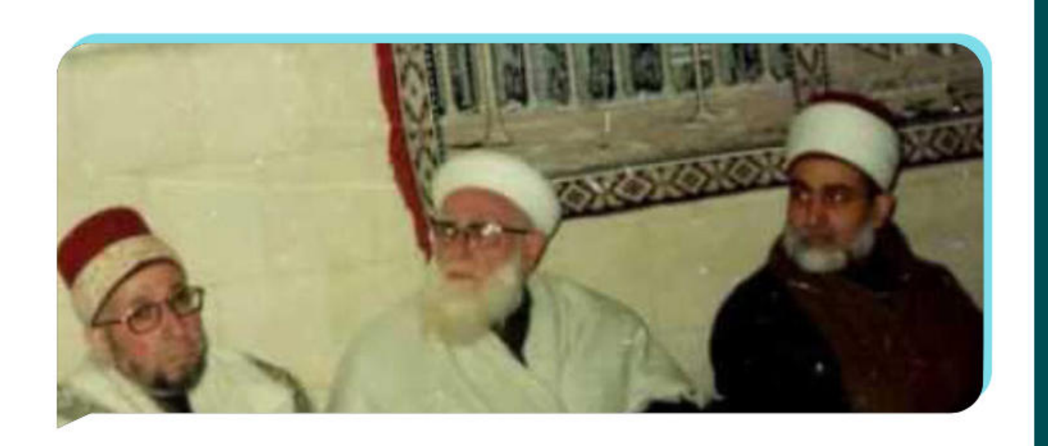
ومن الأمثلة أيضًا أنه شارك في الثورة ضد الفرنسيين مجاهدًا، ولحق بجماعة الشيخ محمد الأشمر الذي كان من أفذاذ المجاهدين وشجعانهم، لكنه لما رأى أن شوكة الفرنسيين قد اشتدت وأنهم قد استقروا في بلاد الشام؛ خرج من بلاده إلى الأردن وأقام فيه حوالي سنتين.

ومن الأمثلة على شجاعته وقوته أنه صدع بالحق بقوة أمام رئيس الجمهورية الفريق أمين الحافظ يوم استدعى العلماء ليوبخهم على وقوفهم ضد قوانين التأميم الاشتراكية التي صدرت سنة ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م، وأسمع الرئيس ومعاونيه حكم الإسلام في صنيعهم بقوة وشجاعة بالغة مع أنه كان ينتظر السجن هو ومن معه من العلماء، وكان ذلك في رمضان ومن ثم أعادوهم إلى بيوتهم معززين مكرمين، وبعد أيام صدر المرسوم الجمهوري بعزل الشيخ حسن وبعض المشايخ من وظائفهم في الخطابة!!

محنة الشيخ حسن حبنكة

وفي سنة ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م حج الشيخ، وقابل الملك فيصل يرحمهما الله تعالى في لقاء خاص، ولما عاد أعد له الشعب استقبالا جليلا جدًّا في المطار وفي جامعه وَحيِّه بالميدان، وغاظ هذا الحكومة السورية بزعامة نور الدين الأتاسي، بل إن السوفييت حذروا السوريين من هذا الشيخ الذي استقبل مثل هذا

الاستقبال، فعزمت الحكومة على الإيقاع به؛ فأوعزت إلى أحد الملاحدة المجرمين أن يكتب مقالا مسمومًا يستهزئ فيه بالله - تعالى عَزّ وجَلّ - في مجلة الجيش الرسمية، فإذا قام الشيخ لينكر ويثير الشعب كعادته دُس بين صفوف المتظاهرين عناصر المباحث ليفسدوا المظاهرة ويحيدوا بها عن أهدافها، وحذر جماعة من المشايخ الشيخ حسن من الخطبة في جامعه في يوم جمعة خصه الشيخ للحديث عن الموضوع، لكنه خطب لمدة ساعة خطبة هائلة تجاوب معه فيها المصلون، ومنع هو وطلابه العناصر المدسوسة من التظاهر ضد الحكومة حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه، وقبضت عليه الشرطة وسُجن في سجن القلعة حيث سجن شيخ الإسلام ابن تيمية، وعُذب بالسهر المتواصل وتسليط الأضواء الشديدة عليه، وأرادوا قتله لكن الله تعالى نجاه بالنكبة التي نُكبت فيها بلاد الشام في حرب سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، وقررت القيادة إطلاق سراحه، فطلب إطلاق سراح المسجونين بسبب قضيته وهم ألوف فوافقت القيادة وأطلقت الجميع، لكن كانت السلطة قد أصدرت مراسيم بإلغاء جمعيته بعد سجنه وصادرت أملاكها.



المناصب التي تولاها الشيخ حسن حبنكة

لم يكن الشيخ يحب الوظائف الرسمية، وعلى هذا لم يكن يطلبها أو يتشوف إليها، لكن عُهد إليه ببعض الوظائف والمناصب، فمن ذلك:

(١) أمانة رابطة العلماء: كان الشيخ قد اشترك مع بعض العلماء في تأسيس رابطة للعلماء، وقد اختاروا أكبرهم سنًا رئيسًا لها وهو الشيخ أبو الخير الميداني، والشيخ محمد مكي الكتاني نائبًا للرئيس، والشيخ حسن حبنكة أمينًا عامًا للرابطة. وكان للرابطة نشاط جليل، وعمل بارز في الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبقيت عشر سنوات ثم ضعفت وانتهى أمرها.

(٢) عضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بعد أن فرغ مقعد سورية بموت الشيخ محمد مكي الكتاني.

(١) عرض عليه الشيخ تاج الدين الحسني يوم كان رئيسًا للجمهورية السورية منصب مدير عام الأوقاف فرفض.

(٣) ونافس في انتخابات تعيين مفتي الشام، وحصل فيها ضغط حكومي للحيلولة دون وصوله، وأُثر على بعض العلماء الناخبين، ومع كل ذلك لم يسقط إلا بفارق صوت واحد عن منافسه الذي فاز وهو الشيخ أحمد كفتارو.

(٤) وعين له بدون علمه وظيفة عالم في دار الفتوى، ثم عدلت الوظيفة لتكون باسم مدرس، ثم عزل عنها بعد أحداث سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م كما فصلتها في مكانها من هذه الترجمة.



شعر الشيخ حسن حبنكة

كان للشيخ شعر جيد على أنه لم يكن مكثرًا، فمن شعره:

بني ديني هلموا أنقذونا فنـار الكفـر تلتهـم البنينـا
وأنتم عاكفون على فسوق فكم نشقى وأنتـم نائمونـا
فتنـتم بالذي يفنى سريعًا وأغـراكـم خـداع الكافرينـا
فعن نهج السداد صرفتمونا ومن ثدي الجحـود غـذوتمونا

وقال أيضًا:

صفق القلب للحجـاز وثـارا شَفّه الشوق للحبيب فطـارا
واقتفت أثره الجسوم غرامًا فجرى الركب في الرمال وسارا
يا ديار الحبيب يا أُنس قلبي عدل الدهر في الهوى أو جارا
يا بقاع الأنوار من فيض ربي حدثيـني عن الرسول جِهارا
حدثيني عن زمزم والمُصَلّى حدثيـني فلا أطيـق اصطبارا

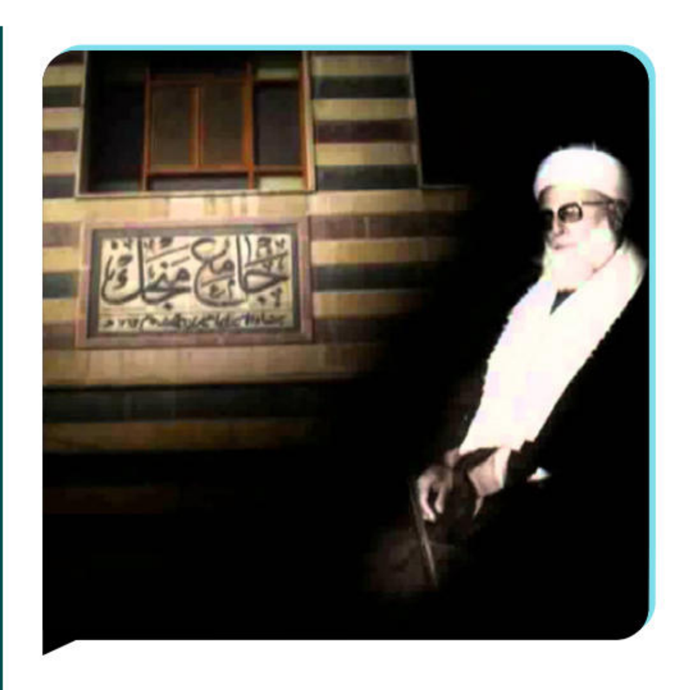
لم يفرغ الشيخ للتصنيف؛ وإنما كان يقول: أنا أؤلف الرجال، وكان له مؤلف واحد فقط، وهو شرح على نظم "الغاية والتقريب" في الفقه الشافعي.

طلاب الشيخ حسن حبنكة

تتلمذ على يديه مئات من طلاب العلم، وصار بعضهم من العلماء الكبار والمشهورين مثل د. محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله، ود. مصطفى الخن، ود. مصطفى البُغا، وشيخ قراء الشام حسين خطاب، وشيخ قراء الشام من بعده محمد كريّم راجح، وابنه الشيخ عبدالرحمن.

تزوج الشيخ وهو في سن الخامسة عشرة من فتاة تصغره بعامين من عائلة السودان الميدانية المعروفة بالتدين، فكان يُعنى بزوجه الصغيرة، ويوقظها ليصليا في ثلث الليل الآخر معًا. ورزقه الله تعالى سبعة أبناء وخمس بنات، ومن أبنائه الشيخ المشهور صاحب المصنفات المفيدة عبد الرحمن، وقد مات من قريب، يرحمه الله تعالى.

توفي يرحمه الله تعالى سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، عقب مرض نزل به، وجَلَطات قلبية انتابته قبل وفاته بثلاث سنوات إلى أن حانت منيته، ووافاه أجله، وصُلي عليه في جامع بني أمية، وشيع جنازته قرابة ستمائة ألف، وهذا لم يكن في دمشق لأحد من العلماء منذ عقود طويلة، رحمه الله تعالى وأعلى درجته في عليين.



أقوال العلماء عن الشيخ حسن حبنكة

وهذه بعض أقوال لعلماء أثنوا على الشيخ:

قال فيه الشيخ أبو الحسن الندوي يرحمهما الله تعالى وكان قد عرفه قديمًا ودعاه للذهاب إلى لكنو في الهند لحضور احتفال ندوة العلماء بذكرى تأسيسها، فوافق الشيخ وارتحل إلى الهند والتقى بالشيخ أبي الحسن: "من نوادر العلماء والمشيخة الذين جمعوا بين الرسوخ في العلم والتضلع من الثروة العلمية المتوارثة والمكتبة الإسلامية الغنية، والاشتغال الدائم بالتدريس وتخريج العلماء والدارسين، وإنشاء المدارس وبناء المساجد، وبين العناية الخاصة بالأوضاع الراهنة في البلاد المهددة أو المتحدية لمستقبل الشعب المسلم السوري الديني". وقال فيه أيضًا: "كان عالمًا ربانيًا، وكبقية السلف الصالح في الورع والتقى، والاتصال بالله والثقة الكاملة فيه، والتفاني في سبيله، كما كان آية في الأخلاق الفاضلة والنزاهة والبعد عن زخارف الدنيا وشواغلها، قلّما يوجد له نظير في هذا الوقت".

وقال فيه الدكتور عدنان زرزور: "كان في ساحة العلماء والشيوخ من هو أكبر منه سنًا، وربما أغزر مادة في بعض فروع العلم ومسائله الكثيرة، ولكن أحدًا منهم لم يكن مهيئًا ليقوم على الثغرة التي كان يقوم عليها الشيخ حسن يرحمه الله، ولا ليؤدي الدور الكبير الذي كان منوطًا به في ذلك الحين، بحكم الإعداد والتكوين، وبحكم المواهب والاستعداد".



وقال فيه تلميذه الشيخ حسين خطاب شيخ قراء الشام: "أمضيت في صحبته وتحت إشرافه وتوجيهه وتعليمه وتأديبه نحوًا من خمسين سنة في غدوه ورواحه، وسفره وحضره، وجده وهزله الذي ما كان يخرج فيه على دائرة الحشمة، وفي طعامه وشرابه، وحزنه وفرحه، وألمه وصحته، وسِلْمه ونضاله، فوجدته خير مُربٍ، وخير معلم، وخير ناصح.

---

* نعيد نشر هذا المقال للدكتور محمد موسى الشريف فك الله أسره، وقد نشر في موقع قصة التاريخ في ٢٠١٣/٠٦/١٧



كبرياء الحكام

الشيخ محمد الغزالي رحمه الله *

أول خصائص الحكم الفردي كما لاحظنا من تتبع تاريخ الاستبداد كبرياء الحاكم وتعاليه. وليس الكبر عقدة الصنعة التي تجعل شاباً طائشا يسير في الطريق متبخترا تعجبه نفسه وتزدهيه ملابسه، أو التي تجعل الموظف في ديوانه يجحد حق العمل الذي استأجرته الدولة لإتمامه فيتشاغل عنه ويتغطرس على الجمهور المحتاج إليه!

إن هذه رذائل حقاً ، وسواء دفع إليها النقص المركب أو الغرور اللاحق فهي جرائم محدودة الأثر إلى جانب سورات الكبر التي تجيش في نفس صاحب السلطة العامة فتحمله من مكانه حيث يعيش مع الناس على ظهر الأرض، إلى سماء يتخيلها وينظر إلى الناس من عليائها، فإذا هو يرى العمالقة أقزاما، ومن دونهم هباء، وبحسب الخير الذي يعيش الناس فيه فيض السحاب الهامي من يده المباركة.

---

* مقتبس من كتاب الإسلام والاستبداد السياسي، للشيخ محمد الغزالي، ص٣٤ وما بعدها، ط: نهضة مصر، ط٦، ٢٠٠٥م، القاهرة.

ولذلك تسمعه يقول ما قال الخديوي توفيق للقائد أحمد عرابي عندما طالبه باسم الأمة أن يمنح الشعب دستورا : هل أنتم إلا عبيد إحساناتنا؟

إن الكبر في هذه الحالات لا يزال يتضخم حتى يتحول إلى جبروت! وتلك حالات معهودة في أمراض النفوس ولذلك جاء في الحديث عن الله عز وجل "والكبرياء ردائي والعز إزاري فمن نازعني شيئا منهما عذبته".

ألا ما أكثر الذين نازعوا الله هذه الصفات من حكام الشرق البائس!



والكبر كالشرك يبدأ عوجا في تصرف صغير فلا تكون له فداحة الكفر بالله، ولا يزال ينمو حتى يتحول بطرا على كل حق وغمطا لكل فرد، وعندئذ يكون الكبر والكفر قرينين. ولا يتعاظمن القارئ هذا ، ففي كتاب الله مصداقه من آيات كثيرات:

"وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ"

"ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ في الأرض بِغَيْرِ الحق وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ . ادخلوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى المتكبرين ".

"إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ".

" فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ".

وتأكيدا لهذه المعاني يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر".



إنه كبر الرؤساء الفجرة والأمراء الظلمة والمستبدين المتألهين. والتخليد في النار والحرمان من الجنة اللذان نطق بهما الكتاب والسنة جزاء عدل لهؤلاء المتألهين، ولعل أشد الناس شعورًا بعدالته من وقعوا تحت وطأة أولئك الكبراء المعتوهين.

وللكبر إذا حكم تقاليد تحتضنه كما أن للعهر إذا شاع أسرا ترتزق به!

- وكبرياء الحكام ترمز إلى ضرب من الوثنية السياسية له طقوس ومراسيم يتقنها الأشياع، ويتلقفها الرعاع على أنها بعض من نظام الحياة الخالد مع السموات والأرض.

وحيث يسود الحكم المطلق تنتقص الإنسانية من أطرافها، بل من صميمها. وذلك أن الله قد خلق البشر أحادًا صحيحة وجعل لكل واحد منهم مدى معينا يمتد فيه طولا وعرضا، فإذا عَن لأحدهم أن يتطاول وينتفخ ويتزيد، فعلى حساب الآخرين حتما. ومن هنا تجد من حوله أنصاف بشر أو أرباع بشر! أصبحوا كسورًا لا رجالا سواء، وما نقص من تمام إنسانيتهم أضيف زورًا إلى الكبير المغرور، فأصبح به فرعونًا مالكًا بعدما كان فردًا كغيره من عباد الله.



ولما كان الإسلام إنقاذًا للناس من جهالاتهم المتوارث ، وحماية للفطرة من أن تأكلها تقاليد السوء وقوانين الاستبداد الأعمى، فقد جعل كلمة التوحيد وهي عنوانه وحقيقته نفيًا للوثنيات كلها ورفضا لأية عبودية في الأرض وتدعيما للحرية التي ذرأ الله الناس عليها والكمال الذي رشحهم له.

ذلك بعض ما تعنيه الكلمة العظيمة "لا إله إلا الله".

وهي الكلمة التي يرددها الألوف دون وعي. بل لعلهم يعيشون في ظلها عبيد أوهام. وقد بُعث محمد صلى الله عليه وسلم للناس وفي قلوبهم وجل من سطوة الملوك الأولين، فلما جيء بأعرابي يوما في حضرته أخذته رعدة يحسب نفسه قريبا من أحد الجبابرة. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: «هون عليك إني لست بملك أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد".

كان قد وقر في الأذهان أن الملوك ليسوا من عبيد الله المألوفين، فإن الأبراج التي يحيون فيها قطعت نسبتهم من الأرض ووصلتها بالسماء، فزعموا أنهم نسل آلهة، أو عاشوا كذلك وإن لم يقولوا بألسنتهم ما يقولون بأفعالهم، فأراد محمد صلى الله عليه وسلم أن يعرفه العرب على أنه بشر مثلهم لا ملك فوقهم، ثم انتسب إلى أمه، لا إلى العظماء من أجداده، ليزداد لله تواضعا ومن الناس قربا.

" وجاء الحكام الراشدون بعده فمشوا في إثره وربطوا سببهم بالجماهير التي نبتوا منها ، فما تنكروا لها ولا تكبروا عليها، ولا حسب أحدهم نفسه من دم أنقى أو عنصر أزكى. واسمع إلى أبي بكر بعدما ولي الخلافة يقول: « أما بعد.. فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم. ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوى حتى آخذ الحق منه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم". "

وجاء في خطبة لعمر بن الخطاب: "اعلموا أن شدتي التي كنتم ترونها ازدادت أضعافا على الظالم والمعتدي، والأخذ لضعيف المسلمين من قويهم. فاتقوا الله وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم. أيها الناس إنه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية الله".



هذا هو وضع الحاكم المسلم في الدولة المسلمة. رجل من صميم الأمة يطلب أن يعان على الحق وأن يمنع من الباطل، ويرى السلطة المخولة له سياجا للمصالح العامة لا مصيدة للمنافع الخاصة ولا بابا إلى البطر والطغيان. وذلك هو أدب الإسلام الذي خط مصارع الجبابرة في الدنيا وحط منازلهم في الآخرة.

"تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ".

يعتذر الأستاذ

حامد عبد العظيم مدير التحرير

عن كتابة مقال هذا الشهر

